



جامعة الملك فيصل

كلية الآداب

قسم الدراسات الإسلامية

العقيدة الإسلامية والمذاهب المعاصرة

إعداد

د. محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل

شوال ١٤٣٠هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمدُ لله ذي العز المجيد، والبطش الشَّديد، المبدئ المعيد، الفعَّال لما يريد، المنتقم ممن عصاه بالنَّار بعد الإنذار بها والوعيد، المُكَرِّم لمن خافه واتقاه بدار لهم فيها من كُلِّ خير مزيد، فسبحان من قسم خلقه قسمين، وجعلهم فريقين فمنهم شقيٌ وسعيد، من عمل صالحاً فلنفسهِ ومن أَساءَ فعليها وما رَبُّكَ بظلاَّمٍ للعبيد، أحمده وهو أهل للحمد والثناء والتَّمْجيد، وأشكره ونعمه بالشُّكر تدوم وتزيد، وأَشْهَدُ أنْ لا إلهَ إلاَّ اللهُ وحده لا شريك له ولا كُفْوَ ولا عدل ولا ضد ولا نديد، وأَشْهَدُ أنَّ محمداً عبده وَرَسُوْلُهُ الداعي إلى التَّوْحِيْد، المبشِّر للمؤمنين بدارٍ لا ينفد نعيمها ولا يبيد، المحذر للعُصَاة مِنْ نَارٍ تلظَّى بدوام الوقيد صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه صلاة لا تزال على كَرِّ الجديدين في تجديد، وسلَّم تسليماً أَمَّا بعد.

فإنَّ اللهَ خلق الخلق ليعرفوه ويعبدوه، ويخافوه ويوحدوه، فمن تَأَمَّلَ الكتاب الكريم، وأدار فكره فيه وجد من ذلك العجب العجاب، وكذلك السُّنَّة الصحيحة التي هي مفسرة ومبينة لمعاني الكتاب، وكذلك سِيَر السَّلَف الصَّالِح أهل العلم والإيمان، من الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن لهم بإحسان، من تأملها علم أحوال القوم وما كانوا عليه من الحرص على تَوْحِيْد الله في رُبُوْبِيَّتِهِ وَأُلُوْهِيَّتِهِ والأَسْمَاءِ وَالصِّفَات، وأنَّ ذلك هو الذي رقَّاهم إلى تلك الأحوال الشَّرِيفَة والمقامات السَّنِيَّات، ومن أراد السَّيْر على منوالهم، والاقتداء بأفعالهم، فلينهج نهجهم في حرصهم على الْعَقِيْدَة، وليعزم على تعلمها عزيمةً أكيدة، فإنَّه ظافرٌ بالسَّعادة، وحائزٌ على العزة والزِّيادة، ومن أجل تحقيق ذلك فهذه ورقات في بيان عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة، الفرقة النَّاجية المنصورة إلى قيام السَّاعة، جريتُ فيها على الاختصار، سائلاً المولى الرَّحيم الغفَّار، أنْ يُنَجِيْني بها من النَّار، ويجعل هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، إنَّه هو البر الرحيم، وصلى اللهُ على نبيِّنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ...

وكتبه

الفقير إلى عفو ربه الجليل

مُحَمَّدُ بنُ عَبْدِ العَزِيْزِ العَقِيْلُ

خطة البحث:

قسَّمتُ البحث إلى مقدمة وخمسة فصول، وهي على النحو الآتي:

المقدمة: واشتملت على أهمية الموضوع، والهدف من الكتابة في هذا العلم.

الفصل الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية وخصائصها.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية.

المبحث الثاني: أهمية العقيدة وخصائصها.

الفصل الثاني: منهج القرآن العظيم في الدعوة إلى العقيدة.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: منهج القرآن العظيم في تقرير التوحيد.

المبحث الثاني: منهج الاستدلال على العقيدة عند السلف عليهم رضوان الله تعالى.

المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند أهل البدع.

المبحث الرابع: قواعد السلف في الرد على أهل البدع.

المبحث الخامس: دور علماء السلف في التصدي للبدع.

الفصل الثالث: أركان الإيمان.

وفيه ستة مباحث:

المبحث الأول: الإيمان بالله تبارك وتعالى.

المبحث الثاني: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث: الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام.

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

الفصل الرابع: نواقض الإيمان وضوابط التكفير.

وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نواقض الإيمان.

المبحث الثاني: ضوابط التكفير.

الفصل الخامس: المذاهب والفرق المعاصرة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: العلمانية.

المبحث الثاني: القاديانية.

المحبث الثالث: الماسونية.

المبحث الرابع: الصهيونية.

فهرس المصادر والمرجع.

فهرس الموضوعات.

د.محمد بن عبد العزيز بن محمد العقيل

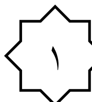
الفصل الأول: مبادئ العقيدة الإسلامية وخصائصها.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: مبادئ العقيدة.

المبحث الثاني: أهمية دراسة العقيدة

المبحث الأول
مبادئ العقيدة



المبحث الأول: مبادئ العقيدة.

مبادئ علم الْعَقِيْدَة:

إنَّ لكل علمٍ مبادئ، نَظَمَهَا بعضُهُم في هذه الأبيات:

إنَّ مبادي كُلَّ فنٍ عشرة الحَدُّ والموضوعُ ثُمَّ الثَّمَرة
وفضلُه ونسبةٌ والواضعُ والاسْمُ الاستمدادُ حكمُ الشَّارع
مسائلٌ والبعضُ بالبعضِ اكتفى ومَنْ دَرَى الجميعَ حَازَ الشَّرَفَا

وإليكِ هذه المبادئ تحت النُّقَاطِ التَّالية:

١- تَعْرِيْفُ الْعَقِيْدَة:

أولاً: تَعْرِيْفُ الْعَقِيْدَة:

الْعَقِيْدَة لغةً: فعيلة بمعنى مفعولة؛ كقتيلة بمعنى مقتولة.

وعقد واعتقد بمعنى اشتد، وصلب، واستحكم، وَمَدَارُ الكلمة على الُّلزوم، والتَّأكُد، والاستيثاق.

ويطلق على العهد وتأكيد اليمين (**عَقْدٌ**).

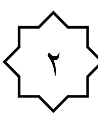
وما عقد الإنسان عليه قلبه فهو (**عَقِيْدَةٌ**).

وأصلها من العقد: وهو بمعنى الربط والشد بقوةٍ وإحكام، ومنه الإبرام، والتَّماسك، والمُراصَّة، والتَّوثيق، والتَّأكيد، والجزم، كلها تُسَمَّى عَقْدًا، ثُمَّ استُعْمِلَتْ في التَّصميم والاعتقاد الجازم. (١)

تعريف العقيدة اصطلاحاً:

التَعْرِيْفُ الاصطلاحي للعَقِيْدَة له مفهومان: عام، وخاص، فالمفهوم العام: هو معنى الْعَقِيْدَة بقطع النَّظر عن كونها صحيحة أو فاسدة، أمَّا بالمفهوم الخاص: فهو تَعْرِيْفُ الْعَقِيْدَة الصحيحة.

(١) مختار الصحاح ص٤٤٤-٤٤٥، تهذيب الأسماء واللغات ٣/٢٧-٢٨، لسان العرب (عقد) ٣/٢٩٥-٣٠٠ .



الْعَقِيْدَة بالمفهوم العام:

هي الإيمان الجازم، والحكم القاطع، الذي لا يتطرَّق إليه شَكٌ لدى المُعْتَقِد.

الْعَقِيْدَة بالمفهوم الخاص (وهي الْعَقِيْدَة الإِسْلامية):

هي الإيمان الجازم بالله ﷻ، وما يجب له في رُبُوْبِيَّتِهِ، وَأُلُوْهِيَّتِهِ، وأسمائه وصفاته، والإيمان الجازم بقضايا الغيب ومنها: الملائكة، والْكُتُبُ، والرُّسُل، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وبكل ما جاءت به النَّصوص من قضايا الاعتقاد، وما أَجْمَعَ عليه السَّلَفُ، والتَّسْلِيم لله في الحكم والأمر والشَّرْعِ، ولرسوله ﷺ بالطاعة والتَّحكيم والاتِّبَاع. (١)

ثانياً: تَعْرِيْفُ التوحيد:

التَّوْحِيْدُ لغةً: مشتق من وَحَّدَ الشيء إذا جعله واحداً، فهو مصدر وَحَّدَ يُوَحِّدُ، أي جعل الشيء وَاحِدَاً.

لا يتحقق التَّوْحِيْد إلاَّ بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى المَوَحَّد، وإثباته له؛ فمثلاً نقول إنَّه لا يتم التَّوْحِيْد حتى يشهد أنْ لا إله إلاَّ اللهُ، فينفي الأُلُوْهِيَّة عمَّا سوى الله عز وجل، ويثبتها لله وحده، وذلك أنَّ النفي المحض تعطيلٌ محض، والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم، فلو قلت مثلاً: محمدٌ قائم، فهنا أثبت له القيام، لكنَّك لم توحده به؛ لأنَّه من الجائز أنْ يشاركه غيره في هذا القيام، ولو قلت لا قائم، فقد نفيت نفياً محضاً ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت لا قائم إلاَّ محمد، فحينئذٍ تكون وحدت محمداً بالقيام حَيْثُ نفيت القيام عمَّن سواه وهذا هو تحقيق التَّوْحِيْد في الواقع أي أنَّ التَّوْحِيْد لا يكون توحيداً حتى يتضمن نفياً وإثباتاً. (٢)

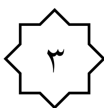
واصطلاحاً: إفراد الله ﷻ بما يختص به من الرُّبُوْبِيَّة، والأُلُوْهِيَّة، والأَسْمَاء وَالصِّفَات. (٣)

---

(١) مباحث في عقيدة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل ص٩ .

(٢) فتاوى مهمة لعموم الأمة ١/ ٣ .

(٣) القول المفيد على كتاب التوحيد لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ١/ ٥ .



٢- موضوع الْعَقِيْدَة:

إنَّ موضوع الْعَقِيْدَة من حَيْثُ كونها علماً هو معرفة الله بإثبات ما لله من صفات كماله، ونعوت جلاله، وتنــزيهه عن كُلِّ نقصٍ وعيب، وتنــزيهه عن مشابهة المخلوقات، وتقرير التَّوْحِيْد والإيمان، والغيبيات، والنبوات، والقدر، وسائر أصول الاعتقاد، بأدلتها من الكتاب والسُّنَّة وإجماع السَّلَف، ودفع ما يعارض هذه الأصول، والرد على المبتدعة المعارضين، وذم الغافلين المعرضين، ومدح أهل السُّنَّة القائمين بهذه الْعَقِيْدَة علماً وعملاً وحالاً ودعوةً، وبيان ما لهم عند ربهم من الكرامة. وهذه الموضوعات الجليلة هي أصل العلوم كلها. (١)

٣- ثمرة علم الْعَقِيْدَة:

إنَّ ثمرة علم الْعَقِيْدَة هي أغلى ثمرة يبحث عنها الإنسان؛ ألا وهي الفوز بسعادة الدارين. فالبشر كلهم عبيدٌ الله، ووظيفةُ العبد وقيمته أنْ يقوم بالعبادة، فالذي لا يؤدي وظيفته فقد قيمتَه، وقوام العبودية تصحيح الْعَقِيْدَة والإيمان، فمن تطرَّق إلى عقيدته خلل، أو تعرض إيمانه لفساد لم تقبل منه عبادة، ولم يصحَّ له عملٌ، وَمَنْ صَحَّتْ عقيدته، واستقام إيمانه كان القليل من عمله كثيراً، فوجب على كُلِّ مسلم ومسلمة أنْ لا يدخرا وسعاً في تصحيح إيمانهم، وأنْ يكون الاستيثاق منه غاية أملهم، ونهاية سؤلهم، لا يعدلا به شيئاً، ولا يتأخرا عنه لحظة.

٤- فضل علم الْعَقِيْدَة:

إنَّ علم الْعَقِيْدَة أشرف العلوم، وأفضلها، وأفرضها، وأنفعها، وأجلها؛ لأَنَّ شرف العلم بشرف المعلوم، والمعلوم في هذا العلم هو اللهُ تبارك وتَعَالَى.

٥- نسبة علم الْعَقِيْدَة إلى بقية العلوم:

أمَّا عن نسبة علم الْعَقِيْدَة إلى بقية العلوم فهو أصل العلوم؛ إذ العلوم كلها مبنيَّة على الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره، وهذه هي أصول الإيمان وأركانه، وغير ذلك من الأسس هي موضوعات يتناولها علم الْعَقِيْدَة.

---

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل صـ٩ .

٦- واضع علم الْعَقِيْدَة:

إنَّ واضع علم الْعَقِيْدَة هو الله تبارك وتَعَالَى بواسطة رسله عليهم الصلاة والسلام، وهذا مما يدل على عظيم منزلة هذا العلم، وعلو قدره.

٧- اسم علم الْعَقِيْدَة:

يُعرف هذا العلم عند أهل السُّنَّة بعدة أسماء، تصدق عليه وهي كالتَّالي:

١- **الْعَقِيْدَة**: (**والاعتقاد والعقائد**): فيقال عَقِيْدَةُ السَّلَف، وعَقِيْدَةُ أهل السُّنَّة، وعَقِيْدَةُ أهل الأَثَر ونحوه، ومن ذلك:

أ- شرح أصول اعتقاد أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للإمام اللالكائي. (١)

٢- **التَّوْحِيْد**: وهو وإنْ كان موضوعاً من موضوعات الْعَقِيْدَة، لكنْ لأنَّه من أشرف موضوعات الْعَقِيْدَة وأهمها أُطلق على الْعَقِيْدَة؛ لأَنَّ إطلاق الجزء على الكل دليل على أهميته، ومن ذلك:

أ- كتاب التَّوْحِيْد وإثبات صفات الرب، لابن خزيمة.

ب- كتاب التَّوْحِيْد، لابن مندة.

ج- كتاب التَّوْحِيْد، لشيخ الإِسْلام محمد بن عبد الوهاب.

٣- **السُنَّة**: وأطلق السَّلَفُ اسْمَ السُّنَّة على الْعَقِيْدَة؛ لأَنَّ السُّنَّة تشمل كُلَّ ما أُثِرَ عن النَّبِيِّ ﷺ في أمور الاعتقاد أولاً، والعلم ثانياً، والعمل ثالثاً؛ ولأنَّ السُّنَّة في اللغة الطريقة، فأُطلق على عَقِيْدَة السَّلَف السُّنَّة لاتباعهم طريقة الرَّسُوْلِ ﷺ وأصحابه في ذلك، وهذا الإطلاق هو أشهر إطلاقات الْعَقِيْدَة في القرون الثَّلاثة المفضَّلة، ومن ذلك:

أ- السُّنَّة، للإمام أحمد.

ب- السُّنَّة، للإمام عبد الله بن الإمام أحمد.

ج- السُّنَّة، للخلال.

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل صـ١٠ .

٤- **أصول الدِّيْنِ (أصول الديانة):** والأصول هي أَرْكَانُ الإيمان، وأَرْكَانُ الإِسْلام، والمسائل القطعيَّة، وما أجمع عليه المسلمون، ومن ذلك:

أ- الإبانة عن أصول الديانة، لابن بطة.

ب- الإبانة عن أصول الديانة، لأبي الحسن الأشعري. (١)

٥- **الفقه الأكبر:** وهو يرادف أصول الدِّيْنِ، مقابل الفقه الأصغر وهو الأحكام الاجتهادية، ومن ذلك:

أ- الفقه الأكبر المنسوب لأبي حنيفة.

٦- **الشَّريعة:** أي ما شرعه الله وَرَسُوْلُهُ من سنن الهدى، وأعظمها أصول الدِّيْنِ، ومنه قوله تَعَالَى: ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾. [سورة الشورى:١٣]، ومن ذلك:

- الشَّريعة، للإمام الآجري.

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل صـ١٠ .

اصطلاحات أهل الفرق التي يطلقونها على هذا العلم:

هناك عدة اصطلاحاتٌ تُطْلِقُهَا الفِرَقُ الضَّالَة على هذا العلم، ومن أشهر تلك المصطلحات ما يلي:

١- **عِلْمُ الكلاَمِ**: وهذا الإطلاق يعرف عند سائر الفِرَقِ المُتَكَلِّمَة؛ كالمعتزلة والأشاعرة، وهو لا يجوز؛ لأَنَّ علم الكلام مُبْتَدَعٌ، ويقوم على التَّقَوُّل على اللهِ بغير علم، ويخالف منهج السَّلَف في تقرير العقائد.

٢- **الفَلْسَفَة**: عند الفَلاَسِفَةِ ومن سلك سَبِيْلَهم، وهو إطلاق لا يجوز في الْعَقِيْدَة؛ لأَنَّ الفلسفة مبناها على الأوهام، والعقليات الخياليَّة، والتَّصَوُّرات الخُرَافِيَّة عن أمور الغيب المَحْجُوْبَة.

٣- **التَّصَوُّف**: عند المُتَصَوِّفَة والفَلاَسِفَة والمُسْتَشْرِقِيْنَ ومن نحا نحوهم، وهو إطلاق مُبْتَدَعٌ؛ لأنَّه ينبني على اعتبار شَطَحَات المُتَصَوِّفَة ومزاعمهم وخرافاتهم في الْعَقِيْدَة.

٤- **الإلهِيَّات**: عند أهل الكلام، والفَلاَسِفَةِ والمُسْتَشْرِقِيْنَ وأتباعهم، وهو خطأ؛ لأَنَّ المقصود به عندهم فلسفات الفلاسفة، وكلام المتكلمين والملاحدة فيما يتعلق بالله تَعَالَى.

٨- استمداد علم الْعَقِيْدَة:

لها مصدران أساسيان هما:

١- **كتاب الله تَعَالَى (الْقُرْآن الْكَرِيْم).**

٢- **السُّنَّة الثَّابِتَة الصَّحِيْحَةُ**. فالرَّسُوْلُ ﷺ، لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاَّ وحيٌ يوحى.

وإجماع السَّلَف الصَّالِحِ مصدرٌ مبناه على الكِتَابِ والسُّنَّة.

أمَّا العقل السَّلِيْم، والفطرة المستقيمة فيوافقان الأدلة المذكورة، ويدركان ضرورة النُّبُوَات، وإرسال الرُّسُل، وضرورة البعث والجزاء على الأعمال على الإجمال لا على التَّفْصِيْل.

أمَّا أمور الغيب فلا سَبِيْلَ لإدراك شيءٍ منها على التَّفْصِيْل إلاَّ عن طريق الكِتَابِ والسُّنَّة.

٩- حكم الشارع في علم الْعَقِيْدَة:

يجب تعلم الْعَقِيْدَة وجوباً عينياً؛ أي أنَّه يجب على كُلِّ مسلمة تعلم الْعَقِيْدَة من حَيْثُ الإجمال، أمَّا مسائلُهُ الدَّقِيْقَةُ، والرَّدُ عل أهل الْبِدَع، فهذا واجبٌ كفائي، إذا قام به البعضُ سقط الإثمُ عن الباقين، وسيأتي مزيد بيان في الكلام عن وجوب التَّمَسُّك بعَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة؛ ولأهمية هذا العنصر سنتناوله بشيءٍ من التفصيل لاحقاً إن شاء الله.

١٠- مسائل علم الْعَقِيْدَة:

مسائل الْعَقِيْدَة: هي القضايا المبحوث عنها فيه، وهي أصول الإيمان السِّتَة، وأسماء الله وصفاته، وعدالة الصَّحَابَة، ونحوها من مسائل الْعَقِيْدَة، وأحياناً تُذْكَرُ بعضُ المسائل الفقهية؛ لاتِّفَاقِ أهل السُّنَّة عليها ومخالفة أَهْلِ الْبِدَع لهم في ذلك؛ كالمسح على الخُفَّيْن. (١)

---

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل صـ١١ .

المبحث الثاني
أهمية دراسة العقيدة وخصائصها

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهمية دراسة العقيدة وخصائصها .

المطلب الثاني: وجوب التزام العقيدة الإسلامية.

المطلب الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية.

المطلب الرابع: قواعد العقيدة الأساسية.

المبحث الثاني: أهمية دراسة العقيدة وخصائصها:

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: أهميَّة دراسة العقيدة السلفية:

إن أهمية دراسة العقيدة السلفيَّة تنبع من أهمية العقيدة نفسها، وضرورة العمل الجاد الدّؤوب لإعادة الناس إليها، وذلك لأمور:

أولاً: لقد كانت عناية القرآن بتوحيد الله عظيمة فهو القضية الكبرى، ومهمة الرسل الأولى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾. [سورة النحل:٣٦] ﴿وَسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَٰنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾. [سورة الزخرف:٤٥]

فالقرآن كله حديثٌ عن التوحيد، وبيان حقيقته والدعوة إليه، وتعليق النجاة والسعادة في الدارين عليه. حديثٌ عن جزاء أهل التوحيد وكرامتهم على ربِّهم، كما أنه حديثٌ عن ضدِّه من الشرك بالله وبيان حال أهله وسوء منقلبهم في الدنيا، وعذاب الهون في الأخرى ﴿حُنَفَاءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾. [سورة الحج:٣١] ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَاءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدِ افْتَرَىٰ إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾﴾. [سورة النساء:٤٨] والأوامر والنواهي ولزوم الطاعات وترك المحرمات هي حقوق التوحيد ومكملاته.

إنَّ بعثة رسول الله ﷺ ورسالته وسيرته من أولها إلى آخرها، مكيِّها ومدنيِّها، حضرها وسفرها، سِلمها وحربها كلها في التوحيد منذ أن أُمر بالإنذار المطلق في سورة المدثر ﴿وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ ﴿٥﴾﴾. [سورة المدثر:٥] إلى الأمر بإنذار العشيرة ﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾﴾. [سورة الشعراء:٢١٣-٢١٤] إلى الأمر بالصدع بالدعوة ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٤﴾﴾. [سورة

الحجر:٩٤] ثم من بعده الأمر بالهجرة ﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾. [سورة التوبة:٤٠] والإذن بالقتال والجهاد ﴿ٱلَّذِينَ أُخْرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًا ۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾﴾. [سورة الحج:٤٠] إلى فتح مكة حين كسرت الأصنام ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا ﴿٨١﴾﴾. [سورة الإسراء:٨١] إلى الإعلام بدنو الموت ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾. [سورة النصر:٣] وقال بأبي هو أمي ﷺ وهو في مرض موته: ((**لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، اتَّخَذُوا قُبُورَ أَنْبِيَائِهِمْ مَسَاجِدَ**)) لم تخلُ فترةٌ من هذه الفترات البتة من إعلان التوحيد وشواهده ومحاربة الشرك وظواهره، ويكاد ينحصر عرضُ البعثة كلِّها في ذلك، فما ترك ﷺ تقريرَ التوحيد وهو وحيدٌ، ولا ذهل عنه وهو محصورٌ في الشعب، ولا انصرف عنه وهو في مسالك الهجرة والعدو مشتد في طلبه، ولا قطع الحديث عنه وأمره ظاهر في المدينة بين أنصاره وأعوانه، ولا أغلق باب الخوض فيه بعد فتح مكة الفتح المبين، ولا اكتفى بطلب البيعة على القتال عن تكرار عرض البيعة على التوحيد ونبذ الشرك، فهذه سيرته المدونة وأحاديثه الصحيحة، والقرآن من وراء ذلك كله.

من أجل هذا كان التوحيد أولاً ولا بد أن يكون أولاً في كل عصر وفي كل مصر، أما أركان الإسلام الخمسة الكبرى ومعالمه العظمى فشرعت لتعلن التوحيد وتجسده وتقرره وتؤكده تذكيراً وتطبيقاً، وإقراراً وعملاً.

فالشهادتان إثبات للوحدانية، نفيٌ للتعدد وحصرٌ للتشريع والمتابعة في شخص المرسَل المبلِّغ محمد ﷺ، والصلاة مفتتحةٌ بالتكبير المنبئ عن طرح كل من سوى الله عز شأنه واستصغار كل من دون الله عز وجل. ناهيك بقرآن الصلاة وأذكارها في منازل ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ

وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾. [سورة الفاتحة:٥]، أمَّا الزكاة فهي قرينة الصلاة في التعبد والاعتراف للرب الجليل وإخراجها خالصة لله طيبة بها النفس براءةً من عبادة الدرهم والدينار ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُم بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٧﴾﴾. [سورة فصلت:٦-٧] أمَّا الصيام الحق فهو الذي يدعُ الصائمُ فيه طعامه وشرابه وشهوته من أجل ربه ومولاه. أمَّا الحج فشعار الأمة كلها في بطاح مكة فهو التلبية بالتوحيد ونفي الشرك.

ثانياً: ما كانت هذه الأدلة المتكاثرة، والحجج المتضافرة، والبراهين المتوافرة في شأن التوحيد، إلا لعظم الأمر، وخطر شأن القضية، وشدة الخوف على الناس من الانحراف والقلوب من الزيغ. ولماذا لا يُخاف عليهم والشياطين ما فتئت تترصد لبني آدم تجتالهم وتُغويهم؟ وفي الحديث القدسي: قال ﷺ: ((**إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أُعَلِّمَكُمْ مَا جَهِلْتُمْ مِمَّا عَلَّمَنِي يَوْمِي هَذَا، وَإِنَّهُ قَالَ: كُلُّ مَالٍ نَحَلْتُهُ عِبَادِي فَهُوَ لَهُمْ حَلالٌ، وَإِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلَّهُمْ فَأَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمَتْ عَلَيْهِمْ مَا أَحْلَلْتُ لَهُمْ، وَأَمَرَتْهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا**)). [١] كيف لا يكون الخوف والرسول ﷺ خاطب أصحابه الصفوة المختارة من الأمة: ((**إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الشِّرْكُ الأَصْغَرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الشِّرْكُ الأَصْغَرُ؟ قَالَ: الرِّيَاءُ، يُقَالُ لِمَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ إِذَا جَاءَ النَّاسُ بِأَعْمَالِهِمْ: اذْهَبُوا إِلَى الَّذِينَ كُنْتُمْ تُرَاءُونَ فَاطْلُبُوا ذَلِكَ عِنْدَهُمْ**)) [٢] ولماذا لا يُخاف الخلل في التوحيد والنقص في صدق التعبد والتعلق؟ لماذا لا يُحذر من الشرك وأنواعه وأسبابه والله يقول في محكم تنـزيله: ﴿وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِاللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾﴾.[سورة يوسف:١٠٦] فانظروا في السحر والشعوذة والتطير والتشاؤم والرقى

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه، باب: الخوف والتقوى، ٤٢٢/٢، وللحديث أصلٌ عند مسلم.

(٢) سلسلة الأحاديث الصحيحة للألباني ٦٣٩/٢، حديث رقم: ٩٥١.

والتمائم، والحلف بغير الله في صور لا تكاد تُحصر. والغلو في الصالحين، ناهيك بدعاء غير الله، وطلب الغوث من المقبورين، والطواف حول الأضرحة، يدعون عندها ثم يدعونها، ويعلقون عليها القناديل والسرج والستور، ويذبحون عندها ولها، ويتمسحون، ويتطور الحال حتى يتخذونها أعياداً ومنسكاً ولا حول ولا قوة إلا بالله.

وصورةٌ جديدةٌ من صور الخلل في التوحيد باءت بها فئات من المنتسبين إلى الإسلام تزعم الثقافة والاستنارة لا ترضى بحكم الله ولا تسلم له، بل إنَّ في قلوبها لحرجاً، وفي صدورها لغيظاً وضيقاً، إذا أقيم حدٌ من حدود الله اشمأزت قلوبهم، قاموا وقعدوا، وأرغوا وأزبدوا، ولهم إخوان يمدونهم في الغي، يزعمون الحفاظ على حقوق الإنسان، وما ضاعت حقوق الإنسان إلا بهم وبأمثالهم.

ثالثاً: التوحيد هو أول الدين وآخره، وظاهره وباطنه، وقطب رحاه، وذروة سنامه، قامت عليه الأدلة، ونادت عليه الشواهد، وأوضحته الآيات، وأثبتته البراهين، نصبت عليه القبلة، وأُسست عليه الملة، ووجبت به الذمة، وعُصمت به الأنفس، وانفصلت به دار الكفر عن دار الإسلام، وانقسم به الناس إلى سعيدٍ وشقيٍّ ومهتدٍ وغوي، وجاءت نصوص القرآن والسنة آمرةٌ بأخذ الدين وتعلمه، وتعلم الدين أول ما يتناول مسائل العقيدة، ولهذا سماه أهل العلم الفقه الأكبر، وقال النبي ﷺ: ((**مَنْ يُرِدِ اللهُ بِهِ خَيْرًا يُفَقِّهْهُ فِي الدِّينِ**)) وأول ما يدخل في ذلك واولاه علم التوحيد والعقيدة.

رابعاً: إنها أصل في أعمال الجوارح، بمعنى أنَّ صلاح العقيدة يورث صلاح العمل والعكس بالعكس، وقد ضرب الله مثلا لذلك بأهل الكتاب حين قال: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُدْعَوْنَ إِلَىٰ كِتَٰبِ ٱللَّهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ يَتَوَلَّىٰ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ وَهُم مُّعْرِضُونَ ﴿٢٣﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ ۖ وَغَرَّهُمْ فِى دِينِهِم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾. [سورة آل عمران:٢٣-٢٤] فالله عز وجل جعل افتراءهم في الدين، وفساد اعتقادهم... سببا لفساد أعمالهم وأصلا لإعراضهم.

وما لم يتحقق التوحيد وإخلاص العبادة وتمام الخضوع والانقياد والتسليم فلا تقبل صلاة ولا زكاة ولا يصح صوم ولا حج، ولا يزكوا أي عمل يتقرب به إلى الله ﴿ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۚ وَلَوۡ أَشۡرَكُواْ لَحَبِطَ عَنۡهُم مَّا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿٨٨﴾﴾. [سورة الأنعام:٨٨] إذا لم يتحقق التوحيد ويصدق الإخلاص فلا تنفع شفاعة الشافعين، ولا دعاء الصالحين حتى ولو كان الداعي سيد الأنبياء والمرسلين محمد ﷺ اقرءوا إن شئتم ﴿ٱسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ أَوۡ لَا تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ إِن تَسۡتَغۡفِرۡ لَهُمۡ سَبۡعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَهُمۡۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَفَرُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِي ٱلۡقَوۡمَ ٱلۡفَٰسِقِينَ ﴿٨٠﴾﴾. [سورة التوبة:٨٠]

خامساً: أنَّ العقيدة السلفية تجعل المسلم يعظِّم نصوص الكتاب والسنة، وتعْصِمُه من ردِّ معانيها، أو التّلاعب في تفسيرها بما يوافق الهوى.

سادساً: أنها تربط المسلم بالسَّلف من الصحابة ومَن تبعهم، فتزيده عزَّة وإيمانًا وافتخارًا، فهم سادةُ الأولياء، وأئمَّة الأتقياء، والأمر كما قال ابن مسعود رضي الله عنه:

((إِنَّ اللَّهَ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ فَوَجَدَ قَلْبَ مُحَمَّدٍ ﷺ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَاصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ فَابْتَعَثَهُ بِرِسَالَتِهِ ثُمَّ نَظَرَ فِي قُلُوبِ الْعِبَادِ بَعْدَ قَلْبِ مُحَمَّدٍ فَوَجَدَ قُلُوبَ أَصْحَابِهِ خَيْرَ قُلُوبِ الْعِبَادِ فَجَعَلَهُمْ وُزَرَاءَ نَبِيِّهِ يُقَاتِلُونَ عَلَى دِينِهِ فَمَا رَأَى الْمُسْلِمُونَ حَسَنًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ حَسَنٌ وَمَا رَأَوْا سَيِّئًا فَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ سَيِّئٌ)). (1)

أو كما رُوِيَ عن ابن عمر رضي الله عنهما أنه قال: **((مَن كانَ مُسْتَنًّا ، فَلْيَسْتَنَّ بمن قد ماتَ، فإنَّ الحيَّ لا تُؤمَنُ عليه الفتْنَةُ، أولئك أصحابُ محمدٍﷺ، كانوا أفضلَ هذه الأمة: أبرَّها قلوبًا، وأعمقَها علمًا، وأقلَّها تكلُّفًا، اختارهم الله لصحبة نبيِّه ﷺ، ولإقامة دينه، فاعرِفوا لهم فضلَهم، واتبعُوهم على أثرهم، وتمسَّكوا بما استطَعْتُم من أخلاقِهم وسيَرِهم،**

(1) أخرجه الإمام أحمد في ((المسند)) (١/٣٧٩)، وصحّح إسناده الشيخ أحمد شاكر (رقم٣٦٠٠).

فإنهم كانوا على الهُدَى المستقيم والله ربِّ الكعبة)). [(١)]

سابعاً: بالعقيدة الإسلامية تتوحَّد صفوف المسلمين:

لا يوحد صفوف المسلمين والدُّعاة إلا الاجتماع على عقيدة السلف الصالح، فعليها تجتمع كلمتهم، وبدونها تتفكَّك؛ ذلك أنها عقيدة الكتاب والسنة والجيل الأول من الصحابة، وكل تجمُّع على غيرها مصيره الفشل والتفكُّك.

ثامناً: ليس للقلوب سرور وليس للصدور انشراح إلا بالتوحيد:

إنَّ انشراح الصدور لا يكون إلا بالتوحيد والعقيدة الصحيحة، ففيه يكون الولاء والبراء، والحب والبغض، والمودة والعداء. يضعف كل رباط إلا رباط العقيدة، وتضمحل كل وشيجة إلا وشائج الحب في الله. رابطة الإيمان يتهاوى دونها كل صلة بعرق أو تراب أو لون. للإيمان طعم يفوق كل الطعوم، وله مذاق يعلو على كل مذاق، ونشوة دونها كل نشوة. حلاوة الإيمان حلاوة داخلية في نفس رضية وسكينة قلبية تسري سريان الماء في العود، وتجري جريان الدماء في العروق. لا أرقَ ولا قلق، ولا ضيق ولا تضييق، بل سعة ورحمة، ورضاً ونعمة ﴿ ذَٰلِكَ ٱلْفَضْلُ مِنَ ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ ﴾. [سورة النساء:٧٠] الإيمان بالله هو سكينة النفس، وهداية القلب، وهو منار السالكين وأمل اليائسين، إنه أمان الخائفين ونصرة المجاهدين، وهو بشرى المتقين ومنحة المحرومين، الإيمان هو أب الأمل، وأخ الشجاعة، وقرين الرجاء، إنه ثقة النفس ومجد الأمة وروح الشعوب.

من ذاق حلاوة الإيمان طاب عيشه، وعرف طريقه، ومن عرف طريقه سار على بصيرة، ومن سار على بصيرة نال الرضا وبلغ المقصد. نعم يمضي في سبيله لا يبالي بما يلقى فبصره وفكره متعلق بما هو أسمى وأبقى ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾. [سورة الفجر:٢٧-٢٨]

(1) ينظر: الحلية لأبي نعيم ٣٠٥/١.

تاسعاً: الْعَقِيْدَة الصحيحة ضرورية للإنسان:

إنَّ الْعَقِيْدَةَ الصَّحِيْحَةَ ضرورية للإنسان ضرورة الماء والهواء، بل أَشَدُّ من ذلك، وبدونها يُصْبِحُ الإنسان ميتاً، وإنْ كان يتحرَّك بين ظهراني النَّاس.

عاشراً: هي أساس بناء المجتمع الإنساني:

فإنْ كانت عَقِيْدَة المجتمع سليمة انضبط ذلك المجتمع وترابط وارتقى إلى ذروة الكمال الإنساني، وإنْ كانت عقيدته منحرفةً تَفَكَّكَ وَتَشَتَّتَ ذلك المجتمع، وهبط إلى الحَضِيْضِ الدَّانِي، وقد دَلَّت التَّجاربُ على أَنَّ صلاح سلوك الفرد يتناسب مع صلاح عقيدته، وفساد سلوك الفرد يتناسب مع مدى فساد عقيدته.

المطلب الثاني: وجوب التزام العقيدة الصحيحة.

لئنْ كانت عَقيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة مستمدة من الكتاب والسُّنَّة، فهذا يعني أَنَّها الأَعْلَمُ وَالأَسْلَمُ وَالأَحْكَمُ، وهذا يعني أنَّ التزامها متعيَّن؛ لأَنَّها الْحَقُّ وَالْحَقُّ أَحَقُّ أنْ يُتَّبع، فَهِيَ العروة الوثقى، والدِّين الخَالص، والصِّرَاط المستقيم، وَهِيَ وَصِيَّةُ رَسُوْلِ الله ﷺ، وَهِيَ سَبِيْلُ المؤمنين، والله تَعَالَى توعَّد من خالف الرَّسُوْلَ ﷺ، واتَّبعَ غَيْرَ سَبِيْلِ المؤمنين فقَالَ: ﴿وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾﴾. [سورة النساء:١١٥] وسَبِيْلُ المؤمنين لا شك أنَّه سَبِيْلُ الصَّحَابَة والتَّابعيْن، والقرون الفاضلة في الدِّيْنِ، الَّذِيْنَ أثنى الله عليهم، وأثنى عليهم الرَّسُوْلُ ﷺ، وأَمَرَنَا باتِّبَاعِهِمْ.

وقد بيَّن النَّبيُّ ﷺ، أنَّه سيكون بعده اختلافٌ وافتراقٌ كثير، وأنَّ الحق مع المتمسِّكين بسُنَّته وسُنَّة الخلفاء الراشدين المهديِّين؛ حَيْثُ قَالَ ﷺ: ((**اتَّقُوْا اللهَ وَعَلَيْكُمْ بِالسَّمْعِ وَالْطَّاعَةِ، وَإِنْ عَبْدَاً حَبَشِيَّاً، وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافَاً كَثِيْرَاً، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءَ الرَّاشِدِيْنَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُوْا عَلَيْهَا بِالْنَوَاْجِذِ، وَإِيَّاكُمْ وَمُحْدَثَاتِ الأُمُوْرِ، فَإِنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضَلالَةٌ**)).

ولا رَيْبَ أَنَّ الَّذِيْنَ تَمَسَّكُوْا بسُنَّته ﷺ، وسُنَّةِ الخلفاء الرَّاشدين، واجْتَنَبُوْا الْبِدَع هم أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

وإذا كان الأمر كذلك، فإنَّ التمسك بهذه الْعَقِيْدَة الحق، أمرٌ معينٌ شرعاً، وذلك للأدلة الآتية:(١)

١- أنَّها ممَّا أَمَرَ اللهُ تَعَالَى باتِّبَاعه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ﴿٥﴾﴾. [سورة البينة:٥]

وقوله تَعَالَى: ﴿۞ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـًٔا﴾. [سورة النساء:٣٦]

(١) المدخل لدراسة العقيد الإِسْلامية للدكتور/إبراهيم محمد البريكان صـ٦٠ .

٢- أنَّها مِمَّا جاء به الرَّسُوْلُ ﷺ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٧﴾. [سورة الحشر:٧]

٣-لأنَّها الحق الذي أرسلت من أجله الرُّسُل، وأُنْزِلَتْ الْكُتُبُ:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ٢٥﴾. [سورة الأنبياء:٢٥]

٤-لأنَّها الغاية من خلق الجن والإنس:

قَالَ ﷻ: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ ٥٦﴾. [سورة الذاريات:٥٦]

٥-لأنَّها دين الله الذي ارتضاه:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسۡتَقِيمٗا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُواْ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمۡ عَن سَبِيلِهِۦۚ ذَٰلِكُمۡ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ١٥٣﴾. [سورة الأنعام:١٥٣]

٦-لأنَّها مِمَّا حكم الله وقضى باتباعه:

وما حكم الله به وقضاه فهو واجب الاتِّبَاع؛ كما قَالَ ﷻ: ﴿۞ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾.[سورة الإسراء:٢٣]

٧-امتداحه سبحانه للمؤمنين بالتزامها وترك ضدها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُم بِرَبِّهِمۡ لَا يُشۡرِكُونَ ٥٩﴾. [سورة المؤمنون:٥٩]

٨-أنَّ الله حرم مخالفتها:

قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ﴾. [سورة الأنعام:١٥١]

٩-استحلال قتال من لم يقبلها:

قَالَ ﷺ: ((**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُواْ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنَّ مُحَمَّدَاً رَسُوْلُ اللهِ**)).

١٠-لأنَّها متعلق سعادة الخلق في الدنيا والآخرة:

قَالَ ﷺ: ((**أَسْعَدُ النَّاسِ بِشَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَنْ قَالَ: لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ خَالِصَاً مِنْ قَلْبِهِ**)).

وقَالَ ﷺ: ((**لِكُلِّ نَبِيٍ دَعْوَةٍ مُسْتَجَابَة، فَتَعَجَّلَ كُلُّ نَبِيٍ دَعْوَتَهُ، وَأَخَّرْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لأُمَّتِي فَهِيَ نَائِلَةٌ إِنْ شَاءَ اللهُ مَنْ مَاتَ لاَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئَاً**)). [١]

(١) المدخل لدراسة العقيد الإِسْلامية للدكتور/إبراهيم محمد البريكان صـ٦٠-٦٢ .

المطلب الثالث: خصائص العقيدة الإسلامية:

تَمَيَّزَتْ الْعَقِيْدَة الإِسْلامية بعدة خصائص منها ما يلي:

١- سلامة المصدر:

وذلك باعتمادها على الكِتَابِ والسُّنَّة وإجماع السَّلَف وأقوالهم فَحَسْب:

وهذه الخاصيَّة لا تُوْجَد في مذاهب أهل الكلام، والمبتدعة، والصُّوفيَّة، الَّذِيْنَ يعتمدون على العقل والنَّظر، أو على الكَشْفِ والحَدْسِ والإِلْهَام والوَجْد، وغير ذلك من المصادر البَشَرِيَّة النَّاقِصَة التي يحكِّمونها أو يعتمدونها في أمور الغيب، والعَقِيْدَة كُلُّها غَيْبٌ.

أمَّا أهل السُّنَّة فهم بحمد الله معتصمون بكِتَابِ اللهِ تعالى، وسُنَّةُ رَسُوْلِهِ ﷺ، وإجماع السَّلَف الصَّالِحِ وأقوالهم، وأَيُّ مُعْتَقَد يُسْتَمَد من غير هذه المصادر إنَّما هو ضلالٌ وَبِدْعَةٌ.

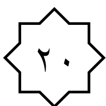
فالَّذِيْنَ يزعمون أنَّهم يَسْتَمِدُّوْنَ شيئاً من الدِّيْنِ عن طريق العقل والنَّظر، أو علم الكلام والفلسفة، أو الإِلْهَام والكَشْفِ والوَجْد، أو الرؤى والأحلام، أو عن طريق أشخاص - غير الأنبياء - يزعمون لهم العِصْمَة أو الإحاطة بعلم الغيب، من أَئِمَّةٍ، أو رؤساء، أو أولياء، أو أَقْطَاب أو نحوهم، أو يزعمون أنَّهم يسعهم العمل بأنظمة البشر، من زعم ذلك فقد أعظم على اللهِ الفِرْيَة، ونقول لمن زعم ذلك كما قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾﴾. [سورة البقرة:١١١] وأنَّى له أنْ يأتي إلاَّ بِشُبَهِ الشَّيطان.

وهذه الخَصِيْصَةُ وهي الاعتماد على الكِتَابِ والسُّنَّة، ومنهج السَّلَف الصَّالِحِ سِمَةٌ من سمات أهل السُّنَّة لا تتخلَّف في كُلِّ مكانٍ وزمان، والحمد للهِ الكريمِ المنَّان. (١)

٢-أنَّها تقوم على التسليم لله تَعَالَى، ولرسوله ﷺ:

وذلك لأَنَّ الْعَقِيْدَة غيب، والغيب يقوم ويَعْتَمِد على التَّسليم والتَّصديق المطلق للهِ تَعَالَى، ولِرَسُوْلِهِ ﷺ، فَالتَّسْلِيْمُ للغيب من صفات المؤمنين التي مدحهم اللهُ بها، قَالَ تَعَالَى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ ٱلْكِتَـٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَـٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾﴾. [سورة البقرة:١-٣]

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص٢٩.



والغيب لا تدركه العقول ولا تُحِيْطُ به، ومن هنا فأهلُ السُّنَّة يَقِفُوْنَ في أمر الْعَقِيْدَة على ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ، بخلاف أهل الْبِدَع فهم يخوضون في ذلك رجماً بالغيب، فلا هم أراحوا عقولهم بالتَّسليم، ولا عقائدهم وذممهم بالاتِّبَاع، ولا تركوا عامَّة أتباعهم على الفطرة التي فطرهم الله عليها.

٣- موافقتها للفطرة القويمة، والعقل السليم:

لأَنَّ عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة تقوم على الاتِّبَاع والاقتداء والاهتداء بهدي الله تَعَالَى، وهدي رسوله ﷺ، وما عليه سَلَف الأُمَّة فهي تَسْتَقِي من مَشْرَب الفطرة، والعقل السَّليم، والهدي القَوِيم، وما أعذبه من مشرب. بل هي عَقِيْدَةٌ تشبع الجَوْعَةَ التي لا تشبعها النُّظُم الفلسفيَّة، ولا المذاهب الوثنية، ولا السلطان السياسي، ولا الثراء المالي: ﴿ فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا ۚ فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾. [سورة الروم: ٣٠]

أمَّا المعتقدات الأخرى فما هي إِلاَّ أوهامٌ، وتخرُّصَات، تُعْمِي الفطرة، وتُحيِّر العقول.

٤- اتصال سندها بالرَّسُوْلِ ﷺ، والصَّحَابَة والتَّابِعِيْن وأئمة الهدى، قولاً وعلماً وعملاً واعتقاداً:

فلا يوجد - بحمد الله - أصلٌ من أصول عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة ليس له سند متصل بالرسول ﷺ، وقدوة من الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن، وأئمة الدين إلى اليوم، بخلاف عقائد المبتدعة التي خالفوا فيها السَّلَف، فهي مُحْدَثَة ولا سند لها من كتابٍ أو سنةٍ أو أثرٍ عن الصَّحَابَة والتَّابِعِيْن، وما لم يكنْ كذلك فهو بِدْعَة، وكل بِدْعَة ضلالة. (١)

---

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل صـ٩، مدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية لعثمان جمعة ضميرية صـ٣٨٣ .

٥- الوضوح والبيان:

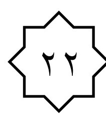
تمتاز عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بالوضوح والبيان، وَخُلوها من الغموض والخفاء، ونقائها من الفلسفة والتَّعقيد في ألفاظها ومعانيها؛ لأنَّها مستمدة من كتاب الله المبين، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن كلام رسوله الأمين عليه أزكى صلاة وأتم تسليم الذي لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاَّ وحيٌ يوحى، وتنجي المتمسِّك بها من هَلَكةِ الخوض في ذات الله، وردٍّ نصوص كتاب الله وسنَّة نبيِّه ﷺ، ومن ثَمَّ تكسب صاحبها الرِّضا والاطمئنان لقدر الله، وتقدير عِظَمِ الله، ولا تكلِّف العقل التَّفكير فيما لا طاقة له به من الغيبيَّات؛ فالعقيدة السلفيَّة سهلةٌ ميسَّرة، بعيدة عن التّعقيد والتّعجيز. بينما المعتقدات الأخرى هي من تخليط البشر أو تأويلهم وتحريفهم، وشتَّان بين المشربين، لا سِيَّمَا والعَقِيْدَة تُوْقِيفيَّة غيبية لا مجال للاجتهاد فيها كما هو معلوم. (١)

٦- سلامتها من الاضطراب والتناقض:

فإنَّ الْعَقِيْدَة الإِسْلامية الصَّافية لا اضطراب فيها ولا تناقض ولا التباس، وذلك لاعتمادها على الوحي، وقوة صلة أتباعها بالله، وتحقيق العبودية له وحده لا شريك له، والتَّوكل عليه وحده، وقوَّةُ يقينهم بما معهم من الحق، وسلامتهم من الحَيْرَةِ في الدِّيْن، ومن القلق والشَّك والشُّبهات، بخلاف أهل الْبِدَع فلا تخلو أهدافهم من علةٍ من هذه العلل.

أصدق دليلٍ على ذلك ما حصل لكثيرٍ من أَئِمَّةِ علم الكلام والفلسفة والتَّصوُّف من اضطراب وتَقَلُّب ونَدَم بسبب ما حصل منهم من مجانبة عَقِيْدَة السَّلَف، خَاصَّةً عند التَّقَدُمِ في السِّنِ، أو عند الموت؛ كما حصل للإمام أبي الحسن الأشعري، حَيْثُ رجع إلى عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة بعد الاعتزال، وكذا الباقلاني، وأبو محمد الجويني، والشهرستاني، والرازي، وغيرهم كثير.

(١) المدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية للدكتور/إبراهيم البريكان صـ٥٢، مدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية لعثمان جمعة ضميرية صـ٣٨٣.



٧- أنَّها سبب الظهور والنصر والفلاح في الدارين:

من أبرز خصائص الْعَقِيْدَة الإِسْلامية أنَّها من أسباب النجاح، والنَّصر والتَّمَكُن لمن قام بها ودعا إليها بصدقٍ وعزمٍ وصبر، فالطَّائِفَةُ التي تتمسَّك بهذه الْعَقِيْدَة السَّلَفِيَّة، هي الطَّائِفَةُ الظَّاهرة والمنصورة التي لا يضرهم من خذلهم ولا من عاداهم إلى يوم القيامة؛ كما أخبرنا بذلك الرَّسُوْلُ ﷺ: ((**لاَ تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي ظَاهِرِيْنَ عَلَى الْحَقِّ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَذَلَهُم حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ**)).

٨- عَقِيْدَة الجماعة والاجتماع:

ذلك أنَّها الطَّريقة المثلى لجمع شمل المسلمين على الحق، ووحدة صفوفهم، وإصلاح ما فسد من شؤون دينهم ودنياهم؛ لأنَّها تردُّهم إلى الكتاب والسُّنَّة وسَبِيْلُ المؤمنين، وهذه الخاصيَّة لا يمكن أنْ تتحقَّق على يد فرقةٍ أو أنظمةٍ لا تقوم على هذه الْعَقِيْدَة أبداً، والتأريخ شاهدٌ على ذلك فالدُّول التي قامت على السُّنَّة هي التي جمعتْ شمل المسلمين وقام بها الجهاد والأمر بالمعروف، والنَّهي عن المنكر، وَعَزَّ بها الإِسْلام قديماً وحديثاً.(١)

٩- البقاء والثبات والاستقرار:

من أهم خصائص عَقِيْدَة أهل السُّنَّة: البقاء والثَّبات والاستقرار والاتِّفَاق، فعقيدتهم في أصول الدين ثابتة طيلة هذه القرون، وإلى أنْ تقوم السَّاعة، بمعنى أنَّها مُتَّفِقَة ومستقرة ومحفوظة، في ألفاظها ومعانيها، تتناقلها الأجيال جيلاً بعد جيل، لم يتطرَّق إليها التَّحريف ولا التَّبديل، ولا التَّلفيق ولا الالتباس، ولا الزِّيادة ولا النَّقْص.

وذلك لأنَّها مُسْتَمَدَّةٌ من كتاب الله الَّذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومن سُنَّة رَسُوْلِ الله ﷺ، وقد تلقاه الصَّحَابَة ثُمَّ التَّابِعُوْن، وأَئِمَّةُ الهدى المتمسِّكون بهديه ﷺ إلى اليوم تلقيناً وكتابةً.

بخلاف فرق الضلال، فهم مضطربون في كُلِّ ما خالفوا فيه السَّلَف مما أَوَّلُوه أو ابتدعوه، ويكثر في عقائدهم التَّلفيق والالتباس والاضطراب، والتَّوقف فيما جاء عن الله وعن رسوله

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل ص٣٣ .

ﷺ، وابتداع الألفاظ والمعاني التي لم ترد عن الله ولا عن رسوله ﷺ. (١)

١٠- وسطية أهل السُّنَّة:

الوسطية تعني الاعتدال والتوازن بين أمرين أو طرفين فيهما إفراطٌ وتفريط، وهذه الوَسَطِيَّة هي العدل والطَّريق الذي تجتمع فيه الفضيلة، فأهلُ السُّنَّة وَسَطٌ بين الفرق الأخرى في جميع جوانب الدين، فهم وَسَطٌ في أسماء الله تَعَالَى وصفاته، وَسَطٌ في الوعد والوعيد، وَسَطٌ في مواقف الصَّحَابَة، وهكذا في سائر أبواب الاعتقاد؛ لأَنَّ عَقِيْدَة السَّلَف مُسْتَمَدَةٌ من الكتاب، والسُّنَّة، وما كان كذلك فهو خيارٌ وسط في كل شيئ. (٢)

١١-إِنَّها تعصم الدم والمال، وتصحح جميع الأعمال:

أَمَّا الْعَقِيْدَة الفاسدة فإِنَّها تهدر الدم والمال، وتُحبِطُ جميع الأعمال، وقد دَلَّ على ذلك الكِتَابُ والسُّنَّة الصَّحِيْحَةُ ومن ذلك ما يلي:

١- قوله تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾﴾. [سورة الزمر:٦٥]

٢- قوله تَعَالَى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾﴾. [سورة المائدة:٥]

٣- قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: ((**لاَ يَحِلُّ دَمُ امْرِئٍ مُسْلِمٍ يَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَأَنِّي رَسُوْلُ اللهِ إِلاَّ بِإِحْدَى ثَلاَث: الثَّيِّبُ الزَّانِي، وَالنَّفْسُ بِالْنَّفسِ، وَالتَّارِكُ لِدِيْنِه الْمُفَارِقُ لِلْجَمَاعَةِ**)). (٣)

---

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور /ناصر بن عبد الكريم العقل ص٣٣-٣٤ .

(٢) مدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية لعثمان جمعة ضميرية ص١٥٦.

(٣) إسناده صحيح على شرط الشيخين وقد أخرجاه، وأصحاب السنن وغيرهم، وهو مخرج في إرواء الغليل برقم: ٢١٩٧.

١٢-أنَّها تجيب على جميع التساؤلات التي تشغل الفكر الإنساني:

مثل مِنْ أين جئنا؟ ومِنْ أين جاء هذا الكون؟ ومِنْ الموجد له؟ وما هي أسماؤه وصفاته؟ ولماذا أوجدنا؟ وما دورنا في هذه الحياة؟ وما علاقتنا بالخالق؟ وهل هناك عوالم غير منظورة؟ وهل بعد هذه الحياة حياةٌ نَصِيْرُ إليها؟ وكيف تكون تلك الحياة؟ كُلُّ هذه الأسئلة لا تُوْجَد عَقِيْدَةٌ لديها إجابةٌ صادقةٌ كافيةٌ شافيةٌ عليها إِلاَّ في الْعَقِيْدَةِ الإِسْلامية الصَّحِيْحَةِ. (١)

(١) مدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية عثمان جمعة ضميرية صـ٣٧-٣٨.

المطلب الرابع: قواعد العقيدة الأساسية:

أولاً: القواعد العامة:

١- مصادر عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة:

نظراً لأَنَّ عَقِيْدَة أهل السُّنَّة تُوْقِيفيَّة، فهي تقوم على التَّسْليم بما جاء عن اللهِ وعن رَسُوْلِه ﷺ، دون تحريفٍ، ولا تأويلٍ، ولا تعطيلٍ، ولا تمثيلٍ.

ولها مصدران أسَاسيَّان هما:

أ- كتاب الله تَعَاْلَى (الْقُرْآن الْكَرِيْم).

ب- السُّنَّة الثَّابتَة الصَّحِيْحَةُ.

فالرَّسُوْلُ ﷺ، لا ينطق عن الهوى إنْ هو إلاَّ وحيٌ يُوْحَى.

وإجماع السَّلَف الصَّالِحِ مصدرٌ مبناه على الكتاب والسُّنَّة.

والفطرة المستقيمة والعقل السَّليم: رَافِدَانِ مُؤَيِّدَانِ لا يستقلان بتقرير تفصيلات الْعَقِيْدَة، فهما يوافقان الكتاب والسُّنَّة ولا يعارضانهما.

وإذا ورد ما يوهم التَّعارض بين النَّقْل والعقل، اتَّهَمْنَا عُقُوْلَنَا، فإنَّ النَّقلَ الثَّابتَ مُقَدَّمٌ وَمُحَكَّمٌ في الدَّيْن، فتقديم عقول النَّاس وآرائهم الفاسدة على كلام الله تَعَاْلَى وكلام رَسُوْلِه ﷺ ضلالٌ وشقاء.

٢- خبر الآحاد الثابت عن رَسُوْلِ الله ﷺ:

فإنَّ الحديث إذا صَحَّ عن النَّبيِّ ﷺ، وإنْ كان من خبر الآحاد وجب قبوله، فهو حُجَّةٌ قَطْعِيَّةٌ.(١)

٣- ما اختلف فيه في أمور الدين فمرده إلى الله وَرَسُوْلِه ﷺ:

فأيُّ أَمْرٍ من أمور الدَّين يقع فيه التنازع فيجب رَدُّهُ إلى كِتَابِ اللهِ تَعَاْلَى، وسُنَّة رسوله ﷺ؛ كما فهمهما الصَّحَابَة والتَّابِعُوْن، والسَّلَف الصَّالحون؛ إذ المرجع في فَهْمِ نصوص الكِتَابِ والسُّنَّة هُم الصَّحَابَة والتَّابِعُوْن، ومن اقتفى أثرَهم من أَئِمَّةِ الهدى

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص٣٨ .

والدِّيْن، ولا عبرة بمن خالفهم؛ لأنَّه مُتَّبِعٌ غير سَبِيْلُ المؤمنين. فيجبُ التَّسْليم للأحاديث الصَّحِيْحَةِ، وآثار السَّلَف الصَّالِحِ، من غير كَيْفَ ولا لِمَ؛ لأَنَّ ذلك بِدْعَة. (١)

٤- أصول الدين والعَقِيْدَة تُوْقِيفيَّة:

فهي عَقِيْدَةٌ يُوْقَفُ بها عند الحدود التي حدَّدها وبيَّنها، وبلَّغها النَّبيُّ ﷺ، فلا مجالَ فيها لزيادةٍ أو نقصان، ولا تعديلَ ولا تبديل؛ وذلك لأَنَّ الْعَقِيْدَة ربَّانِيَّةُ المصدر، موحىً بها من عند الله تَعَالَى.

فإنَّ كُلَّ محدثةٍ في الدين بِدْعَة، وكُلَّ بِدْعَةٍ ضلالة؛ كما صحَّ ذلك عن رَسُوْلِ الله ﷺ.

فليس لأحدٍ أنْ يُحْدِثَ أمراً من أمور الدِّيْن، زاعماً أنَّه يجب التزامه أو اعتقاده، فإنَّ الله تَعَالَى أكمل الدِّيْن، وانقطع الوحي، وخُتِمَتْ النُّبُوَّة (١)؛ لقوله تَعَالَى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾. [سورة المائدة:٣]

وقوله ﷺ: ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ**)).

وهذا الحديث قَاعدةٌ من قواعد الدِّيْن وأَصلٌ من أصول الْعَقِيْدَة.

ومن اعتقد أنَّه يسعه الخروج عمَّا جاء به النَّبِيُّ ﷺ من الدِّيْن، فقد خلع رِبْقَةَ الإِسْلام من عُنُقِهِ.

٥- يجب التزام الألفاظ الواردة في الكتاب والسُّنَّة في الْعَقِيْدَة:

يجب الالتزام بالألفاظ الواردة في الكِتَابِ والسُّنَّة في الْعَقِيْدَة، واجتناب الألفاظ المُحْدَثَة التي ابتدعها المتكلِّمون والفلاسفة وأشباههم من أهل الْبِدَع؛ لأَنَّ الْعَقِيْدَة تُوْقِيفيَّة، فهي مما لا يعلمه إِلاَّ الله ﷻ.

(١) شرح قصيدة النونية ٢/٤١٨ .

٦- أمور الْعَقِيْدَة غيبٌ:

أمور الْعَقِيْدَة غيبٌ ومبناها على التَّسليم بما جاء عن الله، وعن رسوله ﷺ، ظاهراً وباطناً، ما عقلناه منها وما لم نعقله، فمن لم يُسَلِّمْ فيها لله تَعَالَى، ولرسوله ﷺ، لم يَسْلَم دِيْنُهُ. (١)

٧- لا يجوز الخوض والجدل والمراء في الْعَقِيْدَة ونصوصها:

لا يجوز الخوض في نصوص الْعَقِيْدَة؛ والمنَّاظرة فيما يتناظر فيه أهل الجدل ويتنازعون فيه من دينهم؛ لأنَّها غيبٌ، إلاَّ بقدر البيان وإقامة الحُجَّة، مع التزام منهج السَّلَف في ذلك.

قَالَ الأوزاعي: "إذا أراد الله بقومٍ شراً ألزمهم الجدل، ومنعهم العمل". (٢)

٨- لا يجوز تأويل نصوص الْعَقِيْدَة:

لا يجوز تأويل نصوص الْعَقِيْدَة، ولا يجوز صرفها عن ظاهرها بغير دليلٍ شرعيٍّ ثابتٍ عن المعصوم ﷺ، ولهذا لما سلَّط المحرفون التأويلات الباطلة على نصوص الشَّرع فسد الدِّيْن فساداً لولا أنَّ الله ﷻ تكفل بحفظه، وأقام له حرساً وكَّلَهُم بحمايته من تأويل الجاهلين، وانتحال المبطلين، ومن رحمة الله بهذه الأُمَّة أَنَّهُ يَبْعَثُ لها عند دُرَوْسِ السُّنَّة، وظُهُوْرِ الْبِدْعَةِ من يجدِّدُ لها دينها، ولا يزال يَغْرِسُ في دينه غَرْسَاً يستعملهم فيه علماً وعملاً.(٣)

٩- من لوازم الْعَقِيْدَة العمل بالشريعة:

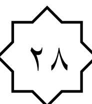
فالحكم بغير ما أَنْزَلَ الله تَعَالَى ينافي التَّوْحِيْد والتَّسْليم لله تَعَالَى، ولرسوله ﷺ،

---

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص٣٨-٣٩، المدخل لدراسة العقيد الإسْلامية للدكتور/إبراهيم محمد البريكان ص٥٤-٥٧ .

(٢) اعتقاد أهل السُّنَّة ١/١٤١ .

(٣) الصواعق المرسلة ٢/٤٠٠ .



فتجويز الحكم بغير شرع اللهِ كفرٌ أكبر، أمَّا العدول عن شرع اللهِ في واقعة معيَّنَة لهوىً في النَّفْسِ، أو إكراهٍ مع الالتزام بشرع اللهِ فهو كفرٌ أصغر، أو ظلمٌ، أو فُسُوْق.!!

ثانياً: قواعد تفصيلية:

يتلخَّصُ اعتقاد أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة في الجملة فيما يلي:

١- عقيدهم في أسماء الله وصفاته:

إثبات ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ، ونفي ما نفاه الله عن نفسه، وما نفاه عنه رسوله ﷺ من غير تمثيلٍ ولا تكييف، ولا تشبيهٍ ولا تحريفٍ، ولا تأويلٍ ولا تعطيلٍ؛ كما قَالَ تَعَالَى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [سورة الشورى:١١]

والله تَعَالَى وصف نفسه، ووصفه رسوله ﷺ بأنَّه: سميعٌ، بصيرٌ، عالمٌ، متكلمٌ، حيٌ، قدير، وأنَّه مستوٍ على عرشه، فوق عباده، وأنَّه تَعَالَى يرضى ويسخط، ويغضب ويحب، كما يليق بجلاله وعظمته، مع الجزم بنفي الشبيه والمثيل. (١)

٢- عقيدهم في مسائل الإيمان وسائر المغيبات:

أ- من أصول أهل السُّنَّة أنَّ الإيمان قولٌ وعمل:

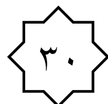
يزيد وينقص، ويشمل الإيمان بكل ما أخبر اللهُ به، أو أخبر عنه رسوله ﷺ، من أمور الغيب والشَّهادة، جملةً وتفصيلاً، ومن ذلك:

١- **الإيمان بالله تَعَالَى وتوحيده بالرُّبُوْبِيَّة، والأُلُوْهِيَّة، والأَسْمَاء وَالصِّفَات.**

٢- **الإيمان بالملائكة**، وأنَّهم عبادٌ مكرمون، لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، وأنَّهم مُوَكَّلُوْنَ بعبادة الله تَعَالَى، ومنهم من له وظائف وأعمالٌ أخرى، كاختصاص جبريل عليه السلام بإنزال الوحي، ومَلَكُ الموت بقبض الأرواح، ومالك بخزانة النَّار، ومنهم من وُكِّلَ بكتابة الأعمال، والمقادير، وَتَسْيِّير السَّحاب، وإنزال المطر، ومنهم حَمَلَةُ العرش...

٣- **الإيمان بالْكُتُبِ**، المُنَزَّلَة من الله تَعَالَى إلى رُسُلِهِ هِدَايَةً للعباد، ومنها: الزَّبُور، والتَّوْرَاة، والإِنْجِيل، والقُرْآن، وهو أكملها وناسخها.

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل ص٤٠.



٤- **الإيمان بالأنبياء، والمرسلين،** جميعاً، ومن جاء ذكره منهم في الْقُرْآن الْكَرِيْم، وصحيح السُّنَّة، وجب الإيمان به على وجه الخصوص، وأنَّهم كلهم بلَّغوا رسالاتِ الله، وَدَعَوْا إلى تَوْحِيْدِهِ وحذَّروا من الشِّرك. ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ ﴾. [سورة النحل:٣٦]

وأنَّ محمداً ﷺ هو أفضلُ الخلق وخَاتَمُ النَّبِيِّين، بعثه اللهُ إلى النَّاس جميعاً، وبموته ﷺ انقطع الوحي، وَأَكْمَلَ اللهُ الدِّيْن.

٥- **الإيمان باليوم الآخر**، وأنَّ الموت حقٌّ، والإيمان بنعيم القبر وعذابه، والبعث، والنَّفخ في الصُّوْرِ، والنَّشور، والعرض، والحساب والجزاء، والصُّحف، والميزان، والصِّراط، والحوض، والجنَّة ونعيمها، والنَّار وعذابها... ويؤمنون بالساعة وأشراطها، ومنها: خروج الدجَّال، ونزول عيسى عليه السلام، وخروج المهدي، ويأجوج ومأجوج، وطلوع الشمس من مغربها، وخروج الدابَّة، وغير ذلك مما ثبت في الأحاديث.

٦- **الإيمان بالقدر، خيره وشره،** حلوه ومُرِّه من الله تَعَاْلَى، وأنَّ الله علم كُلَّ شيءٍ قبل أنْ يكون، وكتب ذلك في اللَّوح المحفوظ، وأنَّه تَعَاْلَى ما شاء كان وما لم يشأ لم يكنْ، وأنَّه تَعَاْلَى خالق كُلِّ شيءٍ، وأنَّه قدَّر الأرزاق، والآجال، والسَّعادة والشَّقاء، والهداية والضَّلال، وأنَّه تَعَاْلَى فعَّالٌ لما يريد، وأنَّه تَعَاْلَى أخذ الميثاق على بني آدم، وأَشْهَدَهُم على أنفسهم أنَّه ربهم.

ب- الْقُرْآن:

من أصول أهل السُّنَّة أنَّ الْقُرْآن الْكَرِيْم كلام الله منزلٌ غير مخلوق، وأنَّ من زعم أنَّه مخلوقٌ فقد كفر.

ج- الرؤية:

وذلك أنَّ المؤمنين يرون ربَّهم يوم القيامة بأبصارهم، من غير كيفٍ ولا إِحاطة.

د- الشفاعة:

فالمؤمنون يؤمنون بسائر الشَّفَاعات التي ثبتت في الْقُرْآن والسُّنَّة بشروطها يوم القيامة، وأعظمها: شَفَاعَةُ النَّبيِّ ﷺ العظمى للخلائق يوم القيامة، وشَفَاعَتُهُ ﷺ لأهل الكبائر من أُمَّتِهِ، وغير ذلك من الشَّفَاعات له ﷺ، ولغيره من الملائكة والنَّبِيِّين والمؤمنين وغيرهم؛ كما جاءت بذلك الآثارُ الصَّحِيْحَةُ.

هـ- الإسراء والمعراج:

الإسراء إلى بيت المقدس، والمعراج إلى السماء السَّابِعَة، وسدرة المنتهى ثابتٌ للنَّبِيِّ ﷺ؛ كما جاءت بذلك الآيات والأحاديث الثَّابِتَةُ عن النَّبِيِّ ﷺ. (١)

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل صـ٤٣ .

ثالثاً: عقيدتهم في بقية الأصول والأحكام الاعتقادية:

١- من أصول الدين عند أهل السُّنَّة: حب الرَّسُوْلِ ﷺ:

محبةُ الرَّسُوْلِ ﷺ واجبةٌ؛ حتَّى يكون الرَّسُوْلُ ﷺ أحبَّ للمرء من نفسه، وولده، والنَّاس أجمعين؛ فقد قَالَ ﷺ: ((**لاَ يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى أَكُوْنَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنْ وَلَدِهِ وَوَالِدِهِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِيْنَ**))، ثُمَّ حبُّ أصحابِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، وزوجاته أُمَّهَاتُ المؤمنين، والتَّرَضِي عنهم، وأنَّهم أفضلُ الأُمَّةِ، والكَفُّ عمَّا شَجَرَ بينهم، وأنْ بغضهم أو الطَّعْنَ في أحدٍ منهم ضلالٌ ونِفاقٌ.

وأفضلهم: أبو بكر، ثُمَّ عمر، ثُمَّ عثمان، ثُمَّ علي، والعشرة المبشرون بالجنَّة.

كما يدين أهل السُّنَّة بحب آل بيت رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، ويستوصون بهم خيراً، ويرعون لهم حقوقهم؛ كما أمر رَسُوْلِ اللهِ ﷺ، من غير غلوٍ ولا جفاء، لا إفراطٍ ولا تفريط.

٢- مجانبة أهل الْبِدَعِ والنفاق والأهواء، وأهل الكلام:

مجانبة أهل الْبِدَعِ، وبغضهم، والتَّحْذير منهم؛ كالجَهْمِيَّةِ، والْمُعْتَزِلَةِ، وَالخَوَارِجِ، وَالقَدَرِيَّةِ، وَغُلاَةُ الْمُرْجِئَةِ، وَغُلاَةُ الصُّوْفِيَّةِ، وَالفَلاَسِفَةِ، وَسَائِرِ الفِرَقِ والطَّوائِف، التي جانبتْ السُّنَّة وَالْجَمَاعَة.

٣- لزوم الجماعة:

يجب الاجتماع والاعتصام بحبل الله، الْقُرْآن والسُّنَّة، فإنَّ الفُرْقَةَ عن أهل الحق شذوذٌ وهَلَكَةٌ وضلالٌ. قَالَ تَعَالَى: ﴿ **وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُواْۚ وَٱذْكُرُواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَآءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِۦٓ إِخْوَٰنًا وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَاۗ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠٣** ﴾. [سورة آل عمران:١٠٣]

٤- وجوب السمع والطاعة لولاة الأمر بالمعروف:

يجب السَّمْع والطَّاعة لولاة الأمر بالمعروف، والتَّدَيُّن بطاعتهم في طاعة الله ما لم يؤمروا بمعصية، ولا يجوز الخروج عليهم، وإنْ جاروا، إلاَّ أنْ يُرَى منهم كُفْرٌ بواحٌ عليه من الله برهان.

٥- وجوب النصيحة لله ولرسوله ﷺ ثُمَّ للأئمة المسلمين وعامتهم:

أَئِمَّةُ المسلمين هم ولاة الأمور من الأمراء والعلماء، فيجب تقديم النَّصيحة لهم، ولعامَّة المسلمين.

أمَّا النَّصِيْحَة لأَئِمَّةِ المسلمين فحبُّ صلاحهم ورشدهم وعدلهم، واجتماع الأُمَّة عليهم، وكراهية افتراق الأُمَّةِ عليهم، والبغض لمن أراد الخروج عليهم. (١)

٦- الجهاد مع الإمام براً كان أو فاجراً:

الجهاد من شعائر الدين، وذروة سنام الإِسْلام، وأنَّه قائمٌ إلى يوم القيامة.

٧- الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

إنَّ الأمر بالمعروف والنَّهيَ عن المنكر أصلٌ من أصول الدين، ومن أعظم شعائر الإِسْلام، وهو واجبٌ على الاستطاعة.

٨- أحكام المسلمين وحقوقهم:

أ- من شهد أنْ لا إله إلَّا الله وأنَّ محمداً رَسُوْلُ اللهِ ﷺ، وصلى صلاتنا:

فمن استقبل قبلتنا، وأظهر شعائر الإِسْلام، فهو مسلمٌ له ما للمسلمين، وعليه ما عليهم، حرامُ الدم والمال والعِرْض، وحسابُهُ على الله، وإساءةُ الظنَّ به، أو التَّوَقُفَ في إسلامه بِدْعَةٌ وتنطعٌ في الدين.

---

(١) الإيمان ٤٢٤/١ .

ب- لا يجوز تكفير أحد من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه:

لا نُكَفِّر أحداً من أهل القبلة بذنبٍ يرتكبه، إلاَّ من جاء تكفيره في الكتاب والسُّنَّة وقامت عليه الحُجَّة، وانتفت في حقه عَوَارِضُ الإكراه، أو الجهل، أو التَّأويل؛ كما لا يجوز الشَّكُ في كفر من حكم الله وَرَسُوْلِه ﷺ بكفره، من المشركين، واليهود، والنصارى وغيرهم.

ج- لا نجزم لأحدٍ بجنة أو نار:

لا نَشْهَدُ لأَحَدٍ بجنَّةٍ ولا بِنَار، إلاَّ من شهد له رَسُوْلُ اللهِ ﷺ.

د- ومرتكب الكبيرة في الدنيا فاسقٌ وعاصي:

حكم مرتكب الكبيرة في الدنيا أنَّه فاسقٌ وعاصي، وفي الآخرة تحت مشيئة الله إنْ شاء عذَّبَه، وإنْ شاء غفر له، ولا يُخَلَّد في النَّار، ونرجو للمُحْسِنِ، ونخاف على المُسِيء.

هـ – الصَّلاَةُ خَلْفَ أَئِمَّةِ المسلمين (ولاة أمورهم):

نُصَلِّي خَلْفَ أَئِمَّةِ المسلمين بَرِّهِم وفَاجِرِهِم، والجهاد معهم.

و- وجوب الحب في الله والبغض في الله:

الحُبُّ في الله والبغض في الله من أوثق عرى الإيمان، ومن ذلك الولاء للمؤمنين الصَّالِحين، والبراءة من المشركين والكافرين والمنافقين، وكُلُّ مسلمٍ له من الولاية بِقَدْرِ ما لديه من الإيمان والاتِّبَاع للرسول ﷺ، ومن البراءة بِقَدْرِ ما فيه من فِسْقٍ وَمَعْصِيَّة.

ز- كَرَامَاتُ الأَوْلِيَاءِ حَقٌّ:

وليس كُلَّ كَرَامةٍ دليلٌ على التَّوْفِيْقِ والصَّلاح، إلاَّ لمَنْ كان على هدي رسول الله ﷺ، ظاهراً وباطناً.

وقد تكون الكرامةُ ابتلاء، وليس كُلُّ خارقٍ للعادة يكون كَرَامةً. [1]

(١) مباحث في عَقِيْدَة أهل السُّنَّة وَالْجَمَاعَة للدكتور/ناصر بن عبد الكريم العقل صـ٤٣-٤٦ .

الفصل الثاني: منهج القرآن العظيم في الدعوة إلى العقيدة.

وفيه أربعة مباحث:

المبحث الأول: منهج القرآن العظيم في تقرير التوحيد.

المبحث الثاني: منهج الاستدلال على العقيدة عند السلف.

المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع.

المبحث الرابع: قواعد السلف في الرد على أهل البدع.

المبحث الأول
منهج القرآن العظيم في تقرير العقيدة

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه الإجمال.

المطلب الثاني: منهج القرآن في تقرير التوحيد على وجه التفصيل.

المطلب الأول: منهج الْقُرْآن في تقرير التوحيد على وجه الإجمال:

قَالَ ابن القيم:

١- إنَّ الْقُرْآن إِمَّا خبرٌ عن الله وأسمائه وصفاته وأفعاله وأقواله، فهو التَّوْحِيْد العلمي الخبري.

٢- وَإِمَّا دعوةٌ إلى عبادته وحده لا شريك له، وخلع ما يعبد من دونه، فهو التَّوْحِيْد الإرادي الطلبي.

٣- وَإِمَّا أمرٌ ونهيٌ، وإلزامٌ بطاعته وأمره ونهيه، فهو حقوق التَّوْحِيْد ومكملاته.

٤- وَإِمَّا خبرٌ عن إكرام أهل التَّوْحِيْد وما فعل به في الدنيا وما يكرمهم به في الآخرة، فهو جزاء تَوْحِيْدِه.

٥- وَإِمَّا خبرٌ عن أهل الشرك وما فعل بهم في الدنيا من النَّكَالِ وما يَحُلُّ بهم في العقبى من العذاب، فهو جزاء من خرج عن حكم التَّوْحِيْد.

فالقرآن كله في التَّوْحِيْد، وحقوقه، وجزائه، وفي شأن الشِّرْكِ وأهله، وجزائهم. (١)

---

(١) مدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية لعثمان جمعة ضميرية ص٢٣٥-٢٣٦.

المطلب الثاني: منهج الْقُرْآن في تقرير التوحيد على وجه التفصيل:

إنَّ للقرآن الكريم منهجه الخَّاص في تقرير عَقِيْدَة التَّوْحِيْد؛ وذلك لأنَّه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وَقَد سَلَكَ الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ في بيان حقيقة هذا التَّوْحِيْد ومقتضياته مسالكَ شتى: (١)

١- الاستدلال على توحيد الألوهية بتوحيد الربوبية:

إذا نظرنا في الآياتِ القرآنيةِ نَرَىَ أَنَّها تُنَبِّهُ إلى دليل الخلق والإبداع، وهذا الدَّلِيْلُ مبنيٌّ على أصلين:

أ- أنَّ الموجودات مخلوقة.

ب- كُلُّ مخلوق لابد له من خالق.

وَيَعْتَمِدُ هذا الدَّلِيْلُ على إثارة الفكر للتَّعَرُّفِ على خالق الموجودات جميعها، والاستدلال بذلك على وحدانيته تَعَاْلَى، وهو أَوَّلُ دليلٍ تُلْفِتُ الآياتُ النَّظَرَ إليه؛ كقوله تَعَاْلَى: ﴿وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدٗاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ بَل لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ كُلّٞ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ ﴿١١٦﴾ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾﴾. [سورة البقرة:١١٦-١١٧]

ومُلَخَّصُ هذا الدليل: أنَّ كُلَّ ما في الكون مخلوقٌ، والمخلوق لابدَّ له من خالق؛ لأنَّه يستحيل أنْ يكون خلق من غير خالق، وقد كان المشركون يؤمنون بهذا الدَّلِيْل من حَيْثُ دلالته على تَوْحِيْد الرُّبُوْبِيَّة، ولا يؤمنون بدلالته على تَوْحِيْد الأُلُوْهِيَّة، قَالَ تَعَاْلَى عنهم: ﴿وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمۡسَ وَٱلۡقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٦١﴾﴾. [سورة العنكبوت:٦١]

وقد أقام الْقُرْآن الحجة عليهم بتوحيد الرُّبُوْبِيَّة ليكون مُوْصِلاً لهم لِتَوْحِيْدِ الأُلُوْهِيَّة؛ حَيْثُ يقول تَعَاْلَى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾﴾. [سورة البقرة:٢١]

---

(١) عَقِيْدَة التوحيد في الْقُرْآن الْكَرِيْم لمحمد أحمد ملكاوي صـ ١٤١ .

والمعنى: كما أنَّ المتفرد بخلقكم وخلق الَّذِيْنَ من قبلكم، والمتفرد بِرُبُوْبِيَّة السموات والأرض، وليس لذلك رَبٌّ سِواهُ، فكذلك ينبغي ألاَّ يتخذ إلهٌ سواه ﷻ. (١)

٢- تسفيه آلهة المشركين، والتشنيع على عابديها:

كقوله تَعَالَى: ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾. [سورة الأنبياء:٦٧]، وقوله: ﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾. [سورة الأنبياء:٥٤]

٣- تصوير ما سيكون يوم القيامة بين العابدين والمعبودين:

ذكر الْقُرْآن ما سيكون بين العابدين والمعبودين، والأتباع والمتبوعين من التبرؤ والمعادة؛ للتَّنفير من الشرك وبيان سوء عاقبة أهله؛ كقوله تَعَالَى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتُّبِعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأَوُا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾﴾. [سورة البقرة:١٦٦-١٦٧]

٤- بيان أنَّ المعبودين من دون الله كالمسيح وأمه والعزير دينهم التوحيد:

ذكر الْقُرْآنُ الْكَرِيْمُ أنَّ المعبودين من الأنبياء دِيْنُهُمْ تَوْحِيْدُ الله ولا يرضون بهذا الشِّرك؛ كقوله تَعَالَى: ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾. [سورة الإسراء:٥٧]، فالعابد لهم طلب منهم شيئاً لا يستطيعونه، ولا يرضونه، ولا يُقِرُّوْنَهُ. (٢)

---

(١) عَقِيْدَة التوحيد في الْقُرْآن الْكَرِيْم لمحمد أحمد ملكاوي صـ ١٤١-١٦١ .

(٢) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صـ٢٧-٢٩.

٥- رده سبحانه على المشركين باتخاذهم شفعاء بأنه لا يشفع أحدٌ إلَّا بإذنه:

رَدَّ اللهُ تَعَالَى على المشركين الَّذِيْنَ اتخذوا من دون الله وسطاء وشفعاء؛ ليشفعوا لهم عند الله، وبيَّن أنَّهم لا ينفعونهم، وأنَّ الشفاعة لله جميعاً، وأنَّه لا يشفع أحدٌ إلاَّ بإذنه، ولا يشفع عنده إلاَّ لمن ارتضى؛ كقوله تَعَالَى: ﴿أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ﴿٤٣﴾ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾. [سورة الزمر:٤٣-٤٤]

٦- تقرير الْقُرْآن للتوحيد بضرب الأمثال:

لقد ضرب الله ﷻ للناس في هذا الْقُرْآن من كُلِّ مثل؛ لأَنَّ ضرب الأمثال فيه فوائد كثيرة؛ كالتذكير، والوعظ، والحثُّ، والزَّجر، والتَّقرير، وتقريب المراد للعقل وتصويره بصورة المحسوس، وتشبيه الخفي بالجلي، حتى يرى الْمُتخَيَّلُ في صورة الْمُتحَقَّق، والْمُتوَهَّم في معرض الْمُتيَقَّن، والغائب كأنَّهُ مُشاهَد.

وقد امتن الله ﷻ على عباده بأنْ ضرب لهم الأمثال قَالَ اللهُ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدۡ صَرَّفۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٖ فَأَبَىٰٓ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ إِلَّا كُفُورٗا ﴿٨٩﴾﴾. [سورة الإسراء:٨٩]

وقَالَ تَعَالَى: ﴿وَضَرَبۡنَا لَكُمُ ٱلۡأَمۡثَالَ ﴿٤٥﴾﴾. [سورة إبراهيم:٤٥]

وقد اقتصرتُ على أمثال الْقُرْآن التي سِيْقَتْ لتقرير وحدانية الله تَعَالَى ومهاجمة الشرك، وهي كما يلي:

أ- الأمثال المضروبة لله ولما يعبد من دونه:

ضرب اللهُ تَعَالَى مثلاً لنفسه ولما يعبد من دونه بعدم قبول المشركين إشراك عبيدهم في ما يخصهم، فكيف يقبلون ذلك لله تَعَالَى؟.

قَالَ تَعَالَى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلٗا مِّنۡ أَنفُسِكُمۡۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِي مَا رَزَقۡنَٰكُمۡ فَأَنتُمۡ فِيهِ سَوَآءٞ تَخَافُونَهُمۡ كَخِيفَتِكُمۡ أَنفُسَكُمۡۚ كَذَٰلِكَ

نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾﴾. [سورة الروم:٢٨]

وهذا المثل هو قصةُ عَبْدٍ في ملك غيره عاجزٍ عن التَّصَرُّفِ، وَحُرٌ غَنِيٌ مُتَصَرِّفٌ فيما آتاه الله، فإذا كان هذان لا يستويان عندكم مع كونهما من جنسٍ واحدٍ مشتركين في الإنسانية، فكيف تشركون بالله وتسوُّون به من هو مخلوقٌ لهُ، مقهورٌ بقدرته من آدميٍ وغيره مع تباين الصفات؟!! وأنَّ اللهَ لا يمكن أنْ يُشْبِهَهُ شيءٌ من خلقه. (١)

ب- المثل المضروب للحق والباطل:

ضرب الله ﷻ مثلاً للحق والباطل، وهو مشتملٌ على المثلين المائي والنَّاري فيقول تَعَالَى:

﴿ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةُۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًاۚ وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَۚ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءًۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي ٱلْأَرْضِۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾﴾. [سورة الرعد:١٧]

أمَّا المثل المائي: فقد مثَّل اللهُ تَعَالَى الحق في ثباته والباطل في اضمحلاله؛ كمثل السَّيْل الحادث عن ذلك الماء النَّازل من السماء، يحمل فوقه زبداً عالياً، وبعد قليل يتطاير الزَّبَدُ ويتلاشى، وأَمَّا الماء فيستفيد منه النَّاسُ في الشرب، وسقي المزروعات، والباقي يمكث في الأرض لينتفع به النَّاسُ في العاجل والآجل، فالحق في ثباته ونفعه يشبه الماء المستقر في الأرض، والباطل في تلاشيه واختفائه يشبه الزبد العالي فوق السَّيْل.

وأمَّا المثل الناري: فقد شبه الله تَعَالَى الحق كمثل المعدن إذا أوقد عليه فيخرج منه الخبث والزبد ويذهب هذا ويتلاشى وهكذا الباطل، ويبقى خالص المعدن ثابتاً مستقراً نقياً، وهكذا الحق في بقائه كالمعدن.

قَالَ مجاهد: فذلك مثل الحق والهدى والعلم والتَّوْحِيْد، إذا دخل القلب طرد الخبث وهو الشكوك والشبهات والشهوات، فيطرح القلب هذه الشبه وتتلاشى كما يطرح السَّيْل الزبد وكما تطرح النَّار الخَبَث، وكاستقرار الماء والمعدن الخالص، يستقر التَّوْحِيْد والإيمان في

(١) عَقِيْدَة التوحيد في الْقُرْآن الْكَرِيْم لمحمد أحمد ملكاوي ص ١٦٤-١٦٦ .

القلب وجذوره بحيث ينفع صاحبه وينتفع به غيره. (١)

ج- أمثلة عجز آلهة المشركين:

ضرب لله مثلاً لعجز آلهة المشركين عن سماع الدُّعَاءِ وعن إجابته كذلك: فقَالَ تَعَالَى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ ۚ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿١٤﴾﴾. [سورة الرعد:١٤]

فقد شَبَّهَ ﷻ المشركين في دعائهم لأصنامهم، وأنَّها لا تستجيب لهم، بالعطشان الذي جلس على شفير بئر، وبسط كفيه إلى الماء، وأخذ يدعوه إلى فيه من بعيد مشيراً إليه بيده ليبل غلته، فلا هو نزل إلى البئر فشرب، ولا الماء يرتفع إليه؛ لأَنَّهُ جمادٌ لا يحس بعطشه، ولا يسمع دعاءه، وهكذا الأوثان لا تحسُّ بدعاء عابديها لها، ولا تستجيب لهم؛ لأَنَّهَا جماداتٌ منحوتةٌ على هيئة الأحياء.

د – الأمثال المضروبة لوصف حالة المشرك وحالة الموحد:

ضرب الله ﷻ مثل المشرك بالذي يهوي من السماء فتخطفته الطَّيْرُ، أو هَوَتْ به الريحُ في مكانٍ سحيق، قَالَ تَعَالَى: ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ﴿٣١﴾﴾. [سورة الحج:٣١]، يحث الله ﷻ عباده على إخلاص التَّوْحِيْد له وإفراده بالطاعة والعبادة دون الأوثان؛ لأَنَّ من يشرك بالله شيئاً من دونه فمثله في بعده عن الهدى وهلاكه، مثل من خَرَّ من السماء فتخطفته الطير فهلك، أو هوت به العواصف في مكانٍ بعيد.

فقد شَبَّهَ التَّوْحِيْد في علوه وشرفه بالسماء، وشَبَّهَ تارك التَّوْحِيْد بالسَّاقط من السَّماء إلى أسفل سافلين؛ لما يجده من التضييق والشدِّة، وشَبَّهَ الشَّياطين التي تَؤُزُّهُ وتتقاسم قلبه بالطير التي تتقاسم لحمه، وشَبَّهَ هواه الذي ألقاه في التهلكة بالريح التي هوت به في مكانٍ سحيق. فتأمَّل هذا المثل ومطابقتهُ حالَ الكافر !!!.

(١) عَقِيْدَة التوحيد في الْقُرْآن الْكَرِيْم لمحمد أحمد ملكاوي ص١٦٩ .

هـ- ضرب الله مثلاً لبيان فساد أعمال المشركين:

ضرب الله ﷻ مثلاً لأعمال المشركين، فقَالَ تَعَالَى: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَعْمَٰلُهُمْ كَسَرَابٍۭ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ ٱلظَّمْـَٔانُ مَآءً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَهُۥ لَمْ يَجِدْهُ شَيْـًٔا وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ فَوَفَّىٰهُ حِسَابَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٣٩﴾ أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾. [سورة النور:٣٩-٤٠]

يُبيِّنُ اللهُ ﷻ أنَّ مثل أعمال الَّذيْنَ كفروا مثل سَرَابٍ بِأَرْضٍ مُنْبَسِطَة يُرَى وسط النَّهَار، وحين اشتداد الحَرِّ، فَيَظُنُّهُ العطشان ماءً، فإذا أتاه ملتمساً الشُّرْبَ لإزالة عطشه لم يجد السَّرابَ شَيْئَاً، فكذلك الكافرون في غرورٍ من أعمالهم التي عملوها وهم يحسبون أنَّها تنجيهم عند اللهِ من الهلاك؛ كما حَسِبَ العطشانُ السَّرابَ ماءً، فإذا صار الكافر إلى الله واحتاج لعمله لم ينفعه، جازاهُ اللهُ بِهِ الجزاءَ الذي يستحقهُ.

وقوله تَعَالَى: ﴿أَوْ كَظُلُمَٰتٍ فِى بَحْرٍ لُّجِّىٍّ يَغْشَىٰهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِۦ سَحَابٌ ۚ ظُلُمَٰتٌۢ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَآ أَخْرَجَ يَدَهُۥ لَمْ يَكَدْ يَرَىٰهَا ۗ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ ٱللَّهُ لَهُۥ نُورًا فَمَا لَهُۥ مِن نُّورٍ ﴿٤٠﴾﴾. [سورة النور:٤٠] هذا مثلٌ آخر لأعمال الكفَّار، إلاَّ أَنَّ المثل الأوَّل في انخداع الكافر بعمله في الدُّنيا وغروره به، وهذا المثل لأعمال الكفار في أنَّها عُمِلَتْ على خطأٍ وفساد، فهي كظلماتٍ في بحرٍ عميقٍ جداً كثير الماء، وفوق هذا البحر العميق موجٌ عالٍ مخيف، وفوق هذا الموج موجٌ آخر، وفوقهما سحابٌ متراكمٌ، فاجتمعت عدة ظلمات، وهكذا عمل الكافر ظلماتٌ في ظلمات. (١)

٧- تقرير الْقُرْآن للتوحيد بالأدلة العقلية:

خلق الله الإنسان وركب فيه العقل، وأَمَرَه أنْ يستخدم هذا العقل في طاعة اللهِ تَعَالَى، وأنْ يُفكِّرَ في مخلوقاته، ومن أمثلة ذلك: خلق الإنسان حَيْثُ خاطب الله فيه العقل فقَالَ

(١) عَقِيْدَة التوحيد في الْقُرْآن الْكَرِيْم لمحمد أحمد ملكاوي صـ ١٦٢-١٨٨ .

تَعَالَى: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾. [سورة الطور:٣٥-٣٦]؛ لأَنَّ البشر لم يخرجوا عن أحد احتمالاتٍ ثلاثة:

١- إمَّا أنْ يكونوا مخلوقين من غير خالق.

٢- وإمَّا أنْ يكونوا خلقوا السموات والأرض، وخلقوا أنفسهم.

٣- وإمَّا أنْ يكونوا مخلوقين لخالقٍ واحد.

والاحتمالين الأوَّل والثَّاني باطلان أشدَّ البطلان؛ إذ يستحيل أنْ يكون الخلق جاء من غير خالق؛ لاستحالة صدور أثرٍ بلا مُؤَثِّر، وفعلٍ بلا فاعل، وخلقٍ بلا خالق؛ كما يستحيل أنْ يكونوا هم الَّذِيْنَ خلقوا أنفسهم؛ إذ يلزم منه اجتماع الضدين في الوقت نفسه: الوجود والعدم، فيكونوا خالقين مخلوقين.

وعليه فلم يبق إلاَّ الاحتمال الثَّالث: وهو كونهم مخلوقين لخالقٍ واحد هو الله رب العالمين، فيجب إذاً إفراده بالأُلُوْهِيَّة، وإخلاص العِبَادَةِ له؛ ولذلك يقول في نهاية سورة الطور: ﴿أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾. [سورة الطور:٤٣]، فهذا إنكارٌ شديدٌ على المشركين في عبادتهم الأصنام من دون الله وهو خالقهم، بعد أنْ بيَّن لهم بطلان كُلِّ احتمال يرد على الخاطر، ولم يبق إلاَّ أنَّهم مخلوقون لخالقٍ واحدٍ متفردٍ بالأُلُوْهِيَّة، لذلك جبير بن مطعم لما قدم على النَّبِيِّ ﷺ في فداء أسرى بدر، وكان إذ ذاك مشركاً، فسمع النَّبِيَّ ﷺ يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآيات كاد قلبه أنْ يطير – كما يروي عن نفسه – فكان سماعه لهذه الآيات من جملة ما حمله على الدخول في الإِسْلام، ونبذ الشرك والأوثان.(١)

(١) عَقِيْدَة التوحيد في الْقُرْآن الْكَرِيْم لمحمد أحمد ملكاوي صـ ٢٥٨- ٣٠٢ .

المبحث الثاني
منهج الاستدلال على العقيدة عند السلف

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف منهج الاستدلال.

المطلب الثاني: تعريف السلف.

المطلب الثالث: تحديد زمن السلف.

المطلب الرابع: منهج الاستدلال عند السلف رضوان الله عليهم.

المطلب الأول: تعريف منهج الاستدلال.

منهج الاستدلال هو: الأصول والقواعد، والطريقة التي يتم بها تلقي الدين وتقرير العقيدة، واستنباط الأحكام من النصوص الشرعية وقواعد الشرع المبنية عليها.

المطلب الثاني: تعريف السلف، وتحديد زمن فترتهم:

تَعْرِيْفُ السَّلَف:

السَّلَفُ في اللغة: هم القوم المُتَقَدِّمُوْنَ في السَّير، ولزيدٍ سَلَفٌ كريمٌ، أي آباء متقدمون، وجمعه أسلاف.(١)

واصطلاحاً: هم الصَّحَابَة والتَّابِعُوْن وتابعوهم بإحسان إلى يوم الدين، ممن أجمعت الأمة على عدالتهم وتزكيتهم، ولم يرموا بِبِدْعَةٍ مُكَفِّرَةٍ أو مُفَسِّقَة.

وهم بهذا المعنى تعبير عن شخصيةٍ اعتبارية، ومنهجٍ مُتَّبَع، الأصل فيه الصَّحَابَة والتَّابِعُوْن وتابعوهم، وهي العُصُوْرُ المُفَضَّلَةُ، قَالَ الله جل شأنه عنهم: ﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلْأَوَّلُونَ مِنَ ٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى تَحْتَهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾. [سورة التوبة:١٠٠]، وبذلك يُعْلَم أنَّ مذهب السَّلَف يشمل جانبين: جانب القدوة، والمنهج المتبع، فالقدوة: هم أصحاب العُصُوْر الثَّلاثة.

والمنهج: هو الطريقة المُتَّبَعَة في هذه العُصُوْر، في الفَهْمِ العقدي، والاستدلال، والتَّقرير، والعلم، والإيمان.

وبهذا يُعْلَمُ أنَّ الوصف بالسَّلَفِيَّةِ مَدْحٌ وثناءٌ على كُلِّ من اتخذها قدوةً ومنهجاً. (٢)

إنَّ الذي لم يختلف فيه المسلمون قديماً وحديثاً هو أنَّ الطريق الذي ارتضاه لنا رُبُّنا هو طريق الكتاب والسُّنَّة؛ ذلك لأَنَّ الله ضمن الاستقامة لمتبع الكتاب فقَالَ على لسان مؤمني الجن: ﴿قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ

---

(١) لسان العرب ١٥٨/٩، التعاريف ٤١٢/١ .

(٢) المدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان صـ١٤ .

وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾. [سورة الأحقاف:٣٠]؛ كما ضمنها لمتبع الرَّسُوْلِ ﷺ الذي قَالَ له ربه: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾. [سورة الشورى:٥٢]، لكنَّ الذي جعل الْفِرَقَ الإِسْلامِيةَ تنحرف عن الصراط هو إغفالها ركناً ثالثاً جاء التنويه به في الوحيين جميعاً، أَلاَ وهو فهم السَّلَف الصَّالِح للكتاب والسُّنَّة.

وقد اشتملت سُوْرَةُ الفاتحة على هذه الأركان الثَّلاثة في أكمل بيان: فقوله تَعَاْلَى: ﴿ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾. اشتمل على ركني الكتاب والسُّنَّة، وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾﴾. اشتمل على فهم السَّلَف لهذا الصراط، مع أنَّه لا يشك أحدٌ في أنَّ من التزم بالكتاب والسُّنَّة فقد اهتدى إلى الصراط المستقيم، إلاَّ أنَّه لَمَّا كان فهم النَّاس للكتاب والسُّنَّة منه الصحيح ومنه السقيم، اقتضى الأمر ركناً ثالثاً لرفع الخلاف، ألا وهو تقييد فهم الأخلاف بفهم الأسلاف. (١)

وهذا يَدُلُّ على أنَّ أفضل من أنعم الله عليه بالعلم والعمل هم أصحابُ رَسُوْلِ الله ﷺ؛ لأنَّهم شهدوا التنزيل، وشاهدوا من هدي الرَّسُوْلِ الْكَرِيْم ﷺ ما فهموا به التأويل السليم؛ كما قَالَ ابن مسعود ﷺ: ((من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإنَّ الحَيَّ لا تُؤْمَنُ عليه الفتنة، أولئك أصحابُ محمدٍ ﷺ، كانوا أفضلَ هذه الأمة، وأَبَرَّها قلوباً، وأعمَقَها علماً، وأقلَّها تكلفاً، قومٌ اختارهم الله لصحبة نبيه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتَّبِعُوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنَّهم كانوا على الهدى المستقيم)).(٢)(٣)

---

(١) الاعتصام للشاطبي ٢/٢٥٢ .

(٢) أخرجه بنحوه ابن عبد البر في جامع البيان ٢/٩٧ . ورواه أبو نعيم في الحلية عن ابن عمر ١/٣٠٥ .

(٣) ست درر من أصول أهل الأثر ص٦٥-٦٩ .

المطلب الثالث: تحديد زمن السَّلَف:

وقد جاء تحديد زمن السَّلَف الَّذِيْنَ لا تجوز مخالفتهم بإحداث فَهْمٍ لم يفهموه، في حديث ابن مسعودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: ((**خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ الَّذِيْنَ يَلُوْنَهُم، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ تَسْبِقُ شَهَادَةُ أَحَدِهِم يَمِيْنُهُ، وَيَمِيْنُهُ شَهَادَتَهُ**)). (1)

ولهذا الأصل أدلةٍ منها: قول الله تَعَالَى: ﴿**وَمَن يُشَاقِقِ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ ٱلۡهُدَىٰ وَيَتَّبِعۡ غَيۡرَ سَبِيلِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ نُوَلِّهِۦ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصۡلِهِۦ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ١١٥**﴾. [سورة النساء:١١٥] والشاهد هنا في ضم مجانبة سَبِيْلِ المؤمنين إلى مُشَاقَّةِ الرَّسُوْلِ لاستحقاق هذا الوعيد الشَّديد، مع أنَّ مُشَاقَّةَ الرَّسُوْلِ ﷺ وحدَهُ كفيلةٌ بذلك؛ كما قَالَ الله تَعَالَى: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّواْ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعۡدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلۡهُدَىٰ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗا وَسَيُحۡبِطُ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٣٢**﴾. [سورة محمد:٣٢](2)

---

(١) متفقٌ عليه .

(٢) انظر مجموع الفتاوى لابن تيمية ١٩٤/١٩ .

المطلب الرابع: منهج الاستدلال عند السلف رضوان الله عليهم:

يقوم منهج الاستدلال عند أهل السنة على القواعد التالية:

١- حصر الاستدلال في الدليل الشرعي (الكتاب والسنة) في أمور العقيدة والشريعة.

٢- مراعاة قواعد الاستدلال، فلا يضربون الأدلة الشرعية بعضها ببعض، بل يردون المتشابه إلى المحكم، والمجمل إلى المبين، ويجمعون بين نصوص الوعد والوعيد والنفي والإثبات، والعموم والخصوص، ويقولون بالنسخ في الأحكام ونحو ذلك.

٣- يعتمدون تفسير القرآن بالقرآن، والقرآن بالسنة والعكس، ويعتمدون معاني لغة العرب ولسانهم؛ لأنها لغة القرآن والسنة، ويردون ما يخالف ذلك.

٤- يعتمدون تفسير الصحابة، وفهمهم للنصوص وأقوالهم وأعمالهم وآثارهم؛ لأنَّهم أصحاب رسول الله ﷺ وهم أفضل الأمة وأزكاها، وعاشوا وقت تنزل الوحي وأعلم باللغة ومقاصد الشرع.

٥- ما بلغهم وعلموه من الدين عملوا به، وما اشتبه عليهم علمه، أو علم كيفيته، (كبعض نصوص الغيبيات والقدر) يسلمون به ويردون علمه إلى الله سبحانه وتعالى ولا يخوضون فيه.

٦- يتجنبون الألفاظ البدعية في العقيدة (كالجوهر والعرض والجسم) لاحتمالها للخطأ والصواب؛ ولأن في ألفاظ الشرع غنى وكمالاً.

٧- ينفون التعارض بين العقل السليم والفطرة وبين نصوص الشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وما يتوهمه أهل الأهواء من التعارض بين العقل والنقل فهو من عجز عقولهم وقصورها.

٨- يعنون بالإسناد وثقة الرواة وعدالتهم لحفظ الدين.

المبحث الثالث
منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع

المبحث الثالث: منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع:

منهج الاستدلال عند أهل الأهواء والبدع يمكن أن نذكره على وجه الإجمال في الأسس الآتية:

١- عدم حصر الاستدلال على الدليل الشرعي، حتى في العقائد، (وهي توقيفية)، فإنهم يستدلون بالظنيات والأوهام، والفلسفات، ويسمونها (العقليات)، كما يستدلون بالحكايات والأساطير وما لا أصل له وبالأحاديث الموضوعة والآثار المكذوبة، وآراء الرجال في الدين، وما يسمونه الكشف والذوق والأحلام ونحو ذلك.

٢- لا يراعون قواعد الاستدلال، فيتبعون المتشابه ولا يردونه إلى المحكم ﴿ **هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ مِنۡهُ ءَايَٰتٌ مُّحۡكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلۡكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ** ﴾. [سورة آل عمران:٧] فيتبعون المتشابه، ويضربون الأدلة بعضها ببعض، ويزعمون التعارض بينها، ويستدلون بالمجمل ولا يردونه إلى المبين، ولا يجمعون بين نصوص الوعد والوعيد، ولا النفي والإثبات، ولا العموم والخصوص.

٣- يضعون لأنفسهم أصولاً يبتدعونها بأهوائهم، وينتزعون لها أدلة من القرآن والسنة، على غير المنهج الشرعي في الاستدلال، وما لا يوافق أصولهم وأهواءهم من نصوص الشرع، يردونه، أو يؤولونه.

٤- يفسرون نصوص الشرع بأهوائهم، فلا يعتمدون تفسير بعضها ببعض، ولا يعتمدون معاني اللغة، وبعضهم قد يستدل ببعض وجوه اللغة بمعزل عن فهم السلف، وعن الدلالات الأخرى.

٥- لا يعتمدون تفسير الصحابة والسلف الصالح، ولا فهمهم للنصوص، ولا آثارهم وعملهم وهديهم، بل يجانوبنهم، ويتبعون غير سبيل المؤمنين.

٦- يخوضون فيما نهى الله عنه من نصوص القدر والصفات والسمعيات ونحوها ويعتمدون التأويل في العقيدة، ويقولون على الله بغير علم ﴿ **ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٧﴾** ﴾. [سورة آل عمران:٧]

٧- يعتمدون الألفاظ البدعية في الصفات وسائر العقيدة (كالجسم والعرض والجوهر).

٨- يقوم منهجهم على المراء والخصومات والجدال بالباطل.

٩- يتوهمون التعارض بين العقل والشرع، وبين الحقيقة والشريعة وبين القدر والشرع، وبين أصولهم والشرع ثم يحكمون أهواءهم وأصولهم وعقلياتهم الفاسدة ويقدمونها على الشرع.

١٠- ليس لهم عناية بالإسناد؛ لتعويلهم على الأهواء وآراء الرجال، والوضع وما لا أصل له، ولذلك يعتمدون الأحاديث الموضوعة والضعيفة، وما لا أصل له، وبالمقابل قد يردون الأحاديث الصحيحة إذا خالفت أهواءهم كما سبق بيانه.

المبحث الرابع
قواعد السلف في الرد على أهل البدع

وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: تعريف البدع.

المطلب الثاني: أقسام البدع.

المطلب الثالث: النهي عن البدع في الدين وذم المبتدعين.

المطلب الأول: تَعْرِيْفُ الْبِدَع:

الْبِدَع لغةً: جمعُ بِدْعَة، وهي في اللغة الأمر المُسْتَحْدَثُ، كما قَالَ ﷻ: ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۝٩﴾. [سورة الأحقاف:٩] أي: لم يأتِ بجديدٍ لم يأتوا به.

وشرعاً: هو الأمر المُسْتَحْدَثُ في الدِّيْنِ.

المطلب الثاني: أقسام الْبِدَع:

وهي على قسمين:

القسم الأول: **بِدْعَةٌ حقيقِيَّةٌ**: وهي ما استحدث في الدِّيْنِ أصلاً ووصفاً، وذلك كالطَّواف حول القبور، وإسراجها، ونحو ذلك.

القسم الثاني: **بِدْعَةٌ إضافِيَّةٌ**: وهى ما استحدث في الدين بوصفه دون أصله، وذلك كالذِّكْرِ الجماعي بصوتٍ واحد، فإنَّ أصل مشروعية الذِّكْرِ جاء الشَّرع بها ولكنَّهُ على هذه الصِّفة لم يَرِدْ شرعاً. (١)

(١) المدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية للدكتور/إبراهيم بن محمد البريكان صـ٦٣ .

المطلب الثالث: النَّهي عن الْبِدَع في الدِّيْنِ وذم المبتدعين:

والْبِدَعُ بنوعيها مذمومةٌ شرعاً، كما قَالَ ﷺ: ((**مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا لَيْسَ مِنْهُ فَهُو رَدٌّ**)). وقوله ﷺ: ((**وَكُلَّ بِدْعَة ضَلاَلَةٌ وَكُلَّ ضَلاَلَة فِيْ النَّارِ**))، وقد حذَّر ﷺ من الْبِدَعِ لخطرها على الدِّيْنِ، كما قَالَ ﷺ: ((**وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُوْرِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَة، وَكُلَّ بِدْعَة ضَلاَلَةٌ**)).

وأوضح أَنَّ المبتدع مغير للدين، محروم من الشرب من حوضه كما قَالَ ﷺ: ((**أَنَا فَرَطُكُمْ عَلَى الْحَوْضِ، وَلَيُخْتَلَجنَّ رِجَالٌ دُوْنِي فَأَقُوْلُ: رَبي أَصْحَابِي. فَقَالَ: إِنَّكَ لاَ تَدْرِي مَا أَحْدَثُوا بَعْدَكَ**)).

وبناءً على ذلك حَذَّرَ السَّلَفُ من الْبِدَع والمبتدعين، واتخذوا في ذلك عِدَّةَ سُبُلٍ نذكر منها:

١- **النَّهي عن سماع البِدَع**، فقد حدث عبد الرزاق عن معمر قَالَ: "كان طاوس جالساً وعنده ابنه، فجاء رجلٌ من المعتزلة فتكلَّم في شيءٍ فأدخل طاوس أصابعه في أذنيه، وقَالَ: يا بُنَيَّ، أدخل أصبعيك في أذنيك حَتَّى لا تسمع من قوله شيئاً، فإنَّ القلب ضعيف، ثُمَّ قَالَ: أي بُنَيَّ، اسدد فما زال يقول اسدد حَتَّى قام الآخر أي المعتزلي".

٢- **هَجْرُ أهل البِدَع وعدم مجالستهم**، عن عبد الرحمن بن يزيد قَالَ: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: ((إياكم وما يحدث النَّاس من الْبِدَع فإن الدين لا يذهب من القلوب بمره، ولكنَّ الشيطان يحدث له بدعاً حتى يخرج الإيمان من قلبه، ويُوشِكُ أَنْ يَدَعَ النَّاسُ ما ألزمهم اللهُ من فرضه في الصَّلاة والصِّيام، والحلال والحرام، ويتكلَّمون في ربهم ﷻ، فمن أدرك ذلك الزَّمانَ فَلْيَهْرُب، قيل: يا أبا عبد الرحمن فإلى أين؟ قَالَ: إلى لا أين، قَالَ: يهرب بقلبه ودينه لا يجالس أحداً من أهل الْبِدَع)).

وروى عيسى بن على الضبي قَالَ: كان رجلٌ معنا يختلف إلى إبراهيم النَّخعي، فبلغ إبراهيمَ أَنَّهُ قد دخل في الإرجاء، فقَالَ له إبراهيم: "إذا قُمْتَ من عندنا فلا تَعُدْ".

٣- **تَعْرِيْفُ النَّاس بحال المبتدع والتنفير منه**، فقد روى محمد بن داود الحدائي قَالَ: قلتُ لسفيان بن عيينة: "إنَّ هذا يتكلَّم في القَدَرِ – يعني إبراهيم ابن أبي يحيى – فقَالَ

سفيان: عَرِّفوا النَّاسَ أمرَه، وَسَلُواْ اللهَ العافية".

٤- **البعد عن مكالمة أهل الْبِدَع**، وهو نوع من الهجر وهو الهجر اللساني، فقد روى سلام بن أبي مطيع قَالَ: قَالَ رجلٌ من أهل الأهواء لأيوب: أُكَلِّمُكَ بكلمةٍ؟ قَالَ: لا ولا نصف كلمة.

وقَالَ الحسن: "لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا لهم".

٥- **بيان خطر الْبِدَع على الدين**، فقد قَالَ سفيان الثَّوري: الْبِدَعُ أَحَبُّ إلى إبليس من المعصية فالمعصية يُتَابُ منها - أي يُرْجَعُ - والْبِدْعَة لا يُتَابُ منها.

وقَالَ أيُّوب السِّخْتِيَانِي: "ما ازداد صاحب بِدْعَةٍ اجتهاداً إلاَّ ازداد من الله عز وجل بعداً".

وقَالَ سفيان الثوري: "من سمع من مُبْتَدِعٍ لم ينفعه الله بما سمعه، ومن صالحه فقد نقض الإسْلام عروة عروة".

٦- **ترك الصَّلاة على المبتدعين**، قَالَ مؤمل بن إسماعيل: "مات عبد العزيز بن أبي رواد وكنت في جنازته حتَّى وضع عند باب الصفا، فصفَّ النَّاس وجاء الثوري - أي سفيان الثوري - فقَالَ النَّاس جاء الثوري، فجاء حتى فرق الصفوف والنَّاس ينظرون الجنازة ولم يصل عليه؛ لأنَّه كان يرمى بالإرجاء".

٧- **استباحة غيبة المبتدع**، فعن الأعمش عن إبراهيم قَالَ: "وليس لصاحب بِدْعَةٍ غيبة".

وقَالَ الحسنُ: "ليسن لأهل الْبِدَع غيبة "، وقَالَ كثير ابن أبي سهل: يقَالَ: "أهل الأهواء لا حرمة لهم".

وقَالَ الفضيلُ: "من دخل على صاحب بِدْعَةٍ فليس له حرمة". (١)

هذا وليس في الْبِدَع في الشَّرع ما يمدح، فإنَّ الرَّسُوْلَ ﷺ قد نصَّ على أَنَّ كُلَّ بِدْعَةٍ ضلالة ولم يَسْتَثْنِ شيئاً من الْبِدَع.

وأمَّا قول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب في التراويح في رمضان: ((نعمت الْبِدْعَةُ هذه)). فمعناه من وجهين:

---

(١) المدخل لدراسة العَقِيْدَة الإسْلامية للدكتور/إبراهيم بن محمد البريكان صـ٦٣ -٦٥ .

الأوَّل: أنَّ ذلك سِيْقَ في مواجهة المنكر لها [١]؛ لأنَّها كانت موجودة في عصر النَّبِيِّ ﷺ، وقد فعلها ثُمَّ تركها خشية الفرض على الأمة، وقد زال، فهو كقولك لمن عارضك في أمر: إنْ كان هذا مُنْكراً فأنا صاحب منكر، تقصد الإخبار عن تمسَّكك به.

الثَّاني: أنَّه جاز إطلاق هذا اللفظ على التراويح لكونها تركت ثُمَّ فعلت، فكانت مستجدة بالنِّسبة؛ لكونها لم تفعل جماعة بعد موت الرَّسُوْلِ ﷺ، فيكون قد جرى على معنى الْبِدْعَةِ لغةً لا شرعاً أيضاً، والمذموم هو الْبِدْعَةُ في الشرع.

ومِمَّا تقدَّم أَيْضاً يتبيَّن بطلان تقسيم الْبِدْعَةِ إلى حسنة وسيِّئة، أو تقسيمها إلى مباحة ومحرمة وواجبة ومكروهة ومسنونة أو مستحبة.

والْبِدَعُ خطرها يَكْمُنُ في تغيير وجه الدِّيْنِ، وفَتْحَ الباب للبِدَعِ مُؤْذِنٌ بخطر تحريف الشَّريعة وتبديلها. الأمر الذي وقع فيه اليهود والنَّصارى حتَّى حرَّفوا دينهم وغيَّروه. [٢]

كما أَنَّ المبتدع مستدركٌ على صاحب الشَّرع، مُدَّعٍ عدم كماله، واللهُ يقول: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِي مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾﴾. [سورة المائدة:٣] وهي شرع ما لم يأذن به الله، الأمر الذي أنكره اللهُ على المشركين، كما قَالَ ﷻ: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾﴾. [سورة الشورى:٢١]

ولازم بِدْعَةِ المبتدع تَجْوِيْزِ التَّشْرِيْع لغير الله وَرَسُوْلِهِ، الأمر الذي قَالَ اللهُ فيه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٤٤﴾﴾. [سورة المائدة:٤٤] وفي آية: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٥﴾﴾. [سورة المائدة:٤٥]

وإنْ كنَّا نقول: إنَّ الْبِدَع ليست على درجةٍ واحدة؟ منها ما هو كفر، ومنها ما هو

---

(١) أي للاجتماع على صلاة التراويح، فكأنَّ قائلاً قال: هذه بدعة فقال له عمر: نعمت الْبِدْعَة هذه، أي إنْ كانت هذه بدعة فنعمت الْبِدْعَة هي، ولم يرد تقسيم الْبِدْعَة إلى بدعة حسنة وأخرى سيئة؛ كما فهم ذلك من لا فهم له .

(٢) المدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية ص٦٣-٦٦ .

شرك، ومنها ما هو محرم، وإنْ كانت تعتبر أكبر من كبائر الذنوب؟.

وربُّنا ﷻ يقول: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾﴾. [سورة الجاثية:٢٣] فجعل اتباع مشتهيات النَّفس والميل إلى رغبات الطبع إلهاً من دون الله يعبد، والمبتدع متبع للهوى وهو نوع من شرك الطاعة حَيْثُ أطاع هواه ومال عما أمره الله من ترك الهوى واتِّبَاع الشَّرع؛ كما قَالَ ﷻ: ﴿فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾﴾. [سورة النور:٦٣]

ولأنَّ الابتداع في الدين يزيد الفرقة بين الأمة، فهو أصل السبل المخالفة للشرع، والتي نهانا الله عن اتباعها؛ كما قَالَ ﷻ: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾. [سورة الأنعام:١٥٣] ولأنَّ كثرة الْبِدَع طريق لخفاء الحق وعدم ظهوره، وذلك لكثرة الشبهات التي تُحِيْطُ بالقلوب بسبب الْبِدَع المخالفة لما أَنْزَلَ الله.

وهذه الأمور تُؤَدِّي بالتَّالي لضعف الأمَّة ولظلم بعضها بعضاً، وذلك بسبب التَّنَازُع الذي يزرع الأحقاد والبغضاء بين أفراد الأمة وطوائفها، ومن ثَمَّ ذهاب قوتها، كما قَالَ ﷻ: ﴿وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ ۖ وَٱصْبِرُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾﴾. [سورة الأنفال:٤٦] (١)

---

(١) المدخل لدراسة العَقِيْدَة الإِسْلامية ص٦٣-٦٦ .

المبحث الخامس
دور علماء السلف في التصدي للبدع

المبحث الخامس: دور علماء السلف في التصدي للبدع:

إنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتَعَالَى قد أكمل لهذه الأُمَّة دينها وأتمَّ عليها نعمته، ولم يتوفَّ نبيه عليه الصلاة والسلام إلاَّ بعدما بلَّغَ البلاغ المبين، وبَيَّنَ للأُمَّة كُلَّ ما شرعه اللهُ لها من أقوال وأعمال، وأوضح ﷺ أَنَّ كُلَّ ما يحدثه النَّاسُ بعده، وينسبونه إلى دين الإسْلام من أقوال، أو أعمال، فكُلُّهُ بِدْعَةٌ مردودةٌ على من أحدثه، ولو حَسُنَ قَصْدُهُ، وقد عرف أصحابُ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ الأمر.

وهكذا علماء الإسْلام بعدهم، فأنكروا الْبِدَع، وحذَّروا منها؛ كما ذكر ذلك كُلُّ من صنَّفَ في تعظيم السُّنَّة وإنكار الْبِدْعَة؛ كابن وضاح، والطرطوشي، وأبي شامة، وغيرهم. (١)

ثُمَّ إنَّه لم يزل في كُلِّ عصرٍ من الأعصار إمامٌ من سَلَف، أو عالمٌ من خَلَف، قائمٌ لله بحقه، وناصحٌ لدينه فيها، يصرف همته إلى جمع اعتقاد أهل الحديث على سنن كتاب الله وَرَسُوْلِهِ وآثار صحابته، ويجتهد في تصنيفه، ويتعب نفسه في تهذيبه، رغبةً منه في إحياء سُنَّتِه، وتجديد شريعته، وتطرية ذكرهما على إسماع المتمسِّكين بهما من أهل ملته، أو لزجر غالٍ في بدعته، أو مستغرقٍ يدعو إلى ضلالته، أو مفتتنٍ بجهالته لقلة بصيرته.

ولذلك أمر النَّبيُّ ﷺ أمته إذا دَبَّتْ إليهم الفُرْقَةُ بالاستمساك بسنته فقَالَ: ((... **وَإِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُم بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلافَاً كَثِيْراً، فَعَلَيْكُم بِسُنَّتِي وَسُنَّة الْخُلَفَاء الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِيْن، تَمَسَّكُواْ بِهَا وَعَضُّواْ عَلَيْهَا بَالنَّوَاجِذْ وَإِيَّاكُم وَمُحْدَثَاتِ الأُمُوْرِ، فَإِنَّ كُلَّ مُحْدَثَةٍ بِدْعَةٌ..**)). (٢)

وقَالَ عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: ((اتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم)).

وقَالَ عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه كلاماً معناه: " قف حَيْثُ وقف القوم، فإنَّهم عن علمٍ وقفوا، وببصرٍ ناقدٍ كفوا، ولَهُمْ كانوا على كشفها أقوى، وبالفضل لو كان فيها أحرى، وإنهم لهم السابقون، فلئن كان المهدي ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم حَدَثَ حَدَثٌ بعدهم فما أحدثه إلاَّ من اتَّبَعَ غيرَ سَبِيْلِهِم، ورغب بنفسه عنهم، ولقد وصفوا منه ما يكفي، وتكلَّموا منه بما يشفي، فما دونهم مقصر، ولا فوقهم محسر، لقد قصر دونهم أناسٌ فجفوا،

---

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد لفضيلة الشيخ الدكتور/صالح بن فوزان الفوزان صـ٢٠٣-٣٠٣ .

(٢) ست درر من أصول أهل الأثر صـ٥٦ .

وطمح آخرون عنهم فغلوا، وإنَّهم من ذلك لعلى هدىً مستقيم ".

وقَالَ الأوزاعي رحمه الله: "عليك بآثار السَّلَف، وإنْ رفضك النَّاسُ، وإيَّاك وآراءَ الرِّجالِ، وإنْ زخرفوه لك بالقول". (١)

قَالَ ابن بطة رحمه الله في بيان سبب اجتماع كلمة السَّلَف على عَقِيْدَة واحدة: "فلم يزل الصَّدْرُ الأَوَّلُ على هذا جميعاً، على ألفة القلوب واتفاق المذاهب: كِتَابُ الله عصمتهم، وسُنَّةُ المصطفى إمامهم، لا يستعملون الآراء، ولا يفزعون إلى الأهواء، فلم يزل النَّاس على ذلك والقلوب بعصمة مولاها محروسة، والنفوس عن أهوائها بعنايته محبوسة". وصدق رحمه الله؛ فإنَّ دين الله واحد لا يختلف، قَالَ ﷻ: ﴿ **أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا** ﴿٨٢﴾ ﴾. [سورة النساء:٨٢]

وكان ابن عون يقول عند الموت: "السُّنَّة السُّنَّة وإِيَّاكُم والْبِدَعَ حَتَّى مات".

وقَالَ أبو العالية: "من مات على السُّنَّة مستوراً فهو صديقٌ، والاعتصام بالسُّنَّة نجاة".

وهذا الطَّريق الذي ندعو النَّاس إليه هو أوضح الطرق، وأبينها، وأغناها، وأكملها، فعن العرباض بن سارية ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: ((**لَقَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى مِثْلِ الْبَيْضَاء، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا لاَ يَزِيْغُ بَعْدَي عَنْهَا إِلاَّ هَالِكٌ**)). (٢)

وإذا حاول المرء تكميله أو تزيينه. مما لم يفعل رَسُوْلُ اللهِ ﷺ ولا أصحابُهُ فإنما يعرج بهم في طرقات، بل في أوديِّة المهالك، وهذا الذي سمَّاه رَسُوْلُ اللهِ ﷺ: ((**وَكُلَّ بِدْعَة ضَلاَلَةٌ**)).

ولذلك اشتدَّ نَكِيْرُ السَّلَفِ الصَّالِحِ على من يزيد في الدِّيْنِ، أو يُوْغِلَ فيه برأيه. (٣)

وذلك لأَنَّ الدِّيْنِ مبناه على الاتِّبَاع لا الاختراع، والرأيُّ في الغالب مذموم؛ لأَنَّ كثيراً من أمور الدِّيْنِ لا يهتدي إليهما العقل بمفرده، لا سِيَّمَا وأنَّ العقول تتفاوت في إدراكها، وفي المؤثرات فيها. (٤)

وهناك أثارٌ كثيرةٌ وردت عن الصَّحَابَة رضوان الله عليهم في بيان خطر الْبِدْعَةِ، وأهمية

---

(١) المناظرة في الْقُرْآن ٤٥/١ .

(٢) رواه الإمام أحمد ١٢٦/٤، والحاكم ٩٦/١، وصححه الألباني في ظلال الجنة في تخريج السُّنَّة (١/٢٧) .

(٣) ست درر من أصول أهل الأثر ص٥٦ .

(٤) انظر تفصيل ذلك عند ابن القيم في إعلام الموقعين (٦٣/١) .

المحافظة على السُّنَّة مما يدل على سعة علم الصَّحَابَة، وإليك بعضَ تلك الآثار:

١- عن أم الدرداء قَالَت: ((دخل عليَّ أبو الدرداء مُغْضباً، فقلتُ له: مالكَ؟)) فقَالَ: ((والله ما أعرف فيهم شيئاً من أمر محمد إلاَّ أنَّهم يصلون جميعاً)). (١)

٢- عن عمرو بن يحيى قَالَ: سمعت أبي يحدث عن أبيه قَالَ: ((كنَّا نجلس على باب عبد الله بن مسعود قبل صلاة الغداة، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد، فجاءنا أبو موسى الأشعري فقَالَ: أَخَرَجَ إليكم أبو عبد الرحمن بعد؟ قلنا: لا. فجلس معنا حتَّى خرج، فلما خرج قمنا إليه جميعاً، فقَالَ له أبو موسى: يا أبا عبد الرحمن، إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته، ولم أر – والحمد لله – إلاَّ خيراً. قَالَ: فما هو؟ فقَالَ: إنْ عشت فستراه. قَالَ: رأيتُ في المسجد قوماً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة، في كُلِّ حلقة رجلٌ، وفي أيديهم حصاً، فيقول: كَبِّرواْ مائة، فيكبرون مائة. فيقول: هَلِّلُوا مائة، فيهللون مائة. ويقول: سَبِّحُواْ مائة، فيسبحون مائة. قَالَ: فماذا قلتَ لهم؟ قَالَ: ما قلتُ لهم شيئاً انتظار رأيك، أو: انتظار أمرك. قَالَ: أفلا أمرتهم أنْ يعدوا سيئاتهم، وضمنتَ لهم أنْ لا يضيع من حسناتهم. ثُمَّ مضى ومضينا معه حتَّى أتى حلقةً من تلك الحِلَق، فوقف عليهم فقَالَ: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قَالَوا: يا أبا عبد الرحمن حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح. قَالَ: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامنٌ أنْ لا يضيع من حسناتكم شيءٌ، ويحكم يا أمة محمد، ما أسرع هلكتكم، هؤلاء صحابة نبيكم ﷺ متوافرون، وهذه ثيابه لم تَبْلَ، وآنيته لم تُكْسَرْ، والذي نفسي بيده إنَّكم لعلى ملةٍ هي أهدى من ملةِ محمد، أو مفتتحو بَابَ ضلالة. قَالَوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلاَّ الخير. قَالَ: وكم من مريدٍ للخير لن يصيبه. إنَّ رَسُوْلَ الله ﷺ حدَّثنا: أنَّ قوماً يقرءون الْقُرْآن لا يجاوز تراقيهم، وأيمُ الله، ما أدري، لعلَّ أكثرهم منكم. ثُمَّ تولى عنهم. فقَالَ عمرو بن سلمة: رأينا عامَّةَ أولئك الحلق يطاعنونا يوم النهروان مع الخوارج. (٢)

(١) رواه البخاري .

(٢) رواه الدارمي، باب: كراهية أخذ الرأي، ٧٢/١، حديث رقم: ٢٠٨ .

٣- وعن عثمان بن حاضر قَالَ: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني. فقَالَ: ((نعم، عليك بتقوى الله، والاستقامة والأثر، اتَّبِعْ ولا تَبْتَدِع)). (١)

فتأَمَّل هذا فإنَّه جمع له أمرين هما: تقوى الله، وهي هنا بمعنى الإخلاص؛ لأنها قرنت بالاتِّبَاع.

والاتِّبَاع، الذي هو معنى الصراط المستقيم. (٢)

ثُمَّ حذَّرَهُ مما يضادُّ ذلك، ألا وهو الْبِدْعَةُ، وهكذا كان عامَّةُ كلام السَّلَف جامعاً مانعاً على وجازته.

وقد كان السَّلَفُ الصَّالِحُ يشتدُّون على من يبتغي أقوال الرجال ليزاحم بها أحكام رسول الله ﷺ، مهما سمت مرتبةُ هؤلاء الرِّجال الأفاضل. ولا رَيْبَ أَنَّ التأدب مع أهل العلم، ومحبتهم، وتقديمهم على من بعدهم، واتهام المرء رأيه مع آرائهم، أمرٌ في غاية الأهميَّة، إلاَّ أنَّ هذا شيءٌ، وتقديمُ النَّص من الوحيين بعد اتضاحه شيءٌ آخر. (٣)

٤- عن أبي الزبير قَالَ: كنا نطوف مع طاووس فمررنا بمعبد الجهني، قَالَ: فقيل لطاووس: هذا معبد الذي يقول بالقدر. قَالَ: فقَالَ له طاووس: أنت المفتري على الله بما لا تعلم، قَالَ: فقَالَ: يُكذب علي. قَالَ: فدخلنا على ابن عباس، فقَالَ له طاووس: يا أبا عباس هؤلاء الَّذِيْنَ يقولون في القدر.

فقَالَ: ((أروني بعضهم، أدخل يدي في عينيه فاقلعها ولا نصونه)).

وكذلك كان موقف التَّابِعِيْن والأَئِمَّة المهديين من الْبِدَع وأهلها، من ذلك ما يلي:

١- عن عبد الله بن سالم الأشعري من أهل حمص قَالَ: حدثني إبراهيم بن أبي عبلة قَالَ: كُنْتُ عند عبادة بن نسي فأتاه آت فقَالَ: إنَّ أمير المؤمنين يعني هشاما قد قطع يد غيلان ورجليه وصلبه، قَالَ: ما تقول؟! قَالَ قد فعل، قَالَ عبادة: أصاب والله فيه القضيةَ والسُّنَّةَ، ولأَكْتُبَنَّ إليه فَلأُحْسِنَنَّ لهُ.

---

(١) رواه الدارمي ٥٣/١، والخطيب في الفقيه والمتفقه ١٧٣/١ من طريقين تقوي إحداهما الأخرى .

(٢) رواه الدارمي ٦٩/١، وصححه الألباني في تعليقه على كتاب العلم لأبي خيثمة .

(٣) ست درر من أصول أهل الأثر ص٥٨-٥٩ .

٢- قَالَ عبد الله بن أحمد عن أبيه أحمد بن حنبل أنه قَالَ: كان ثور بن يزيد الكلاعي كان يرى القدر، وكان من أهل حمص، أخرجوه ونفوه؛ لأَنَّهُ كان يرى القدر.

قَالَ: وبلغني أنه أتى المدينة، فقيل لمالك: قد قدم ثور، فقَالَ: لا تأتوه، فقَالَ: لا يجتمع عند رجلٍ مُبْتَدِعٍ في مسجد رَسُوْلِ اللهِ ﷺ.

ولا يزال علماء المسلمين – والحمد لله – ينكرون الْبِدَعَ ويردُّون على المبتدعة من خلال الصُّحُف والمجلاَّت، والإذاعات، وخُطَب الجمع، والنَّدَوات، والمحاضرات، مما له كبيرُ الأثر في توعية المسلمين، والقضاء على الْبِدَع، وقَمْعِ المبتدعين. (١)

(١) الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد صـ٣٠٣ .

الفصل الثالث: أركان الإيمان.

وفيه ستة مباحث

المبحث الأول: الإيمان بالله تعالى.

المبحث الثاني: الإيمان بالملائكة.

المبحث الثالث: الإيمان بالكتب.

المبحث الرابع: الإيمان بالرسل.

المبحث الخامس: الإيمان باليوم الآخر.

المبحث السادس: الإيمان بالقدر.

المبحث الأول
الإيمان بالله تعالى

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بوجود الله تبارك وتعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بربوبية الله تعالى.

المطلب الثالث: الإيمان بألوهية الله تعالى، وتفرده بالعبادة.

المطلب الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته تعالى.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالله تعالى.

أركان الإيمان:

جاءت نصوص الكتاب والسنة، وإجماع سلف الأمة ببيان أركان الإيمان، وهي ستة أركان:

١- الإيمان بالله.

٢- الإيمان بالملائكة.

٣- الإيمان بالكتب.

٤- الإيمان بالرسل.

٥- الإيمان باليوم الآخر.

٦- الإيمان بالقدر خيره وشره.

قال تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾. [سورة البقرة:٢٨٥-٢٨٦]

وقال تعالى: ﴿۞ لَّيۡسَ ٱلۡبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ قِبَلَ ٱلۡمَشۡرِقِ وَٱلۡمَغۡرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلۡبِرَّ مَنۡ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلۡكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾.[سورة البقرة:١٧٧]

فجعل الله سبحانه وتعالى الإيمان هو الإيمان بهذه الجملة، وسمى من آمن بهذه الجملة مؤمنين، كما جعل الكافرين من كفر بهذه الجملة، بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ مِن قَبۡلُۚ وَمَن يَكۡفُرۡ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾﴾. [سورة النساء:١٣٦] وقال ﷺ، في الحديث المتفق على صحته، حديث جبرائيل وسؤاله للنبي ﷺ عن الإيمان، فقال: ((**أنْ تُؤمِنَ باللهِ ، وَمَلائِكَتِهِ ، وَكُتُبِهِ ، وَرُسُلِهِ ، وَاليَوْمِ**

الآخِرِ ، وتُؤْمِنَ بالقَدَرِ خَيرِه وَشَرِّه)). فهذه الأصول التي اتفقت عليها الأنبياء والرسل صلوات الله عليهم وسلامه، و لم يؤمن بها حقيقة الإيمان إلا أتباع الرسل.

الإيمان بالله تعالى: [1] **يتضمَّنُ الإيمان بالله تعالى أربعة مطالب:**

المطلب الأول: الإيمان بوجود الله تعالى:

وقد دلَّ على وجوده تعالى: الفطرة، والعقل، والشرع، والحس.

١- أما دلالة الفطرة على وجوده سبحانه: فإنَّ كل مخلوق قد فُطِرَ على الإيمان بخالقه من غير سبق تفكير، أو تعليم، ولا ينصرف عن مقتضى هذه الفطرة إلاَّ من طرأ على قلبه ما يصرفه عنها؛ لقول النبي ﷺ: ((**مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلاَّ يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ فَأَبَوَاهُ يُهَوِّدَانِهِ وَيُنَصِّرَانِهِ وَيُمَجِّسَانِهِ كَمَا تُنْتَجُ الْبَهِيمَةُ بَهِيمَةً جَمْعَاءَ هَلْ تُحِسُّونَ فِيهَا مِنْ جَدْعَاءَ**)). [2]

٢- وأما دلالة العقل على وجود الله تعالى؛ فلأن هذه المخلوقات: سابقها ولاحقها، لابد لها من خالق أوجدها، إذ لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ ولا يمكن أن توجد صدفة.

لا يمكن أن توجد نفسها بنفسها؛ لأن الشيء لا يخلقُ نفسه؛ لأنه قبل وجوده معدوم فكيف يكون خالقاً؟!

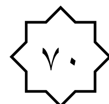
ولا يمكن أن توجد صدفة؛ لأن كل حادث لابد له من محدث، ولأن وجودها على هذا النظام البديع، والتناسق المتآلف، و الارتباط الملتحم بين الأسباب ومسبباتها، وبين الكائنات بعضها مع بعض يمنعُ منعاً باتاًّ أن يكون وجودها صدفة، إذ الموجود صدفة ليس على نظام في أصل وجوده فكيف يكون منتظماً حال بقائه وتطوره؟!

وإذا لم يمكن أن توجد هذه المخلوقات نفسها بنفسها، ولا أن توجد صدفة؛ تعيَّن أن يكون لها موجد هو الله رب العالمين.

وقد ذكر الله تعالى هذا الدليل العقلي، و البرهان القطعي، حيث قال: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾﴾. [سورة الطور:٣٥-٣٦]؛ يعني: أنهم لم يُخْلَقُوا من غير خالق، ولا هم الذين خلقُوا أنفسهم؛

(١) ينظر: نبذة في العقيدة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه مسلم، في كتاب القدر، باب: معنى كل مولود يولد على الفطرة..، حديث رقم: (٢٦٥٨).



فتعين أن يكون خالقهم هو الله تبارك و تعالى، ولهذا لما سمع جبير بن مطعم ﷺ رسول الله ﷺ يقرأ سورة الطور فبلغ هذه الآيات: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ (٣٥) أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ (٣٦) أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ (٣٧)﴾. [سورة الطور:٣٥-٣٧] وكان جبير يومئذ مشركًا قال: (كاد قلبي أن يطير، وذلك أول ما وقر الإيمان في قلبي). (١)

ولنضرب مثلاً يوضح ذلك: فإنه لو حدَّثك شخص عن قصرٍ مشيَّد، أحاطتْ به الحدائق، وجرت بينها الأنهار، ومُلئ بالفرش والأسرَّة، وزُيِّن بأنواع الزينة من مقوماته ومكملاته، وقال لك: إنَّ هذا القصر وما فيه من كمال قد أوْجد نفسه، أو وُجد هكذا صدفة بدون مُوجد؛ لبادرت إلى إنكار ذلك وتكذيبه، وعددت حديثهُ سفهًا من القول، أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع: بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، وأحواله، ونظامه البديع الباهر، قد أوجَدَ نفسه، أو وُجد صدفة بدون موجد؟!

٣- وأما دلالة الشرع على وجود الله تعالى: فلأن الكتب السماوية كُلَّها تنطقُ بذلك، وما جاءت به من الأحكام العادلة المتضمنة لمصالح الخلق؛ دليل على أنها من رب حكيم عليم بمصالح خلقه، وما جاءت به من الأخبار الكونية التي شهد الواقع بصدقها؛ دليل على أنها من رب قادر على إيجاد ما أخبر به.

٤- وأما أدلة الحس على وجود الله؛ فمن وجهين:

أحدهما: أننا نسمعُ ونشاهدُ من إجابة الداعين، وغوث المكروبين، ما يدلُ دلالة قاطعة على وجوده تعالى، قال الله سبحانه: ﴿وَنُوحًا إِذْ نَادَىٰ مِن قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ (٧٦)﴾. [سورة الأنبياء:٧٦] وقال تعالى: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ (٩)﴾. [سورة الأنفال:٩]

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك ﷺ قال: إنَّ أعرابيًّا دخل يوم الجمعة - والنبي

(١) أخرجه البخاري مفرقاً، في كتاب التفسير، باب: تفسير سورة الطور، حديث رقم: (٤٥٧٣).

ﷺ يخطبُ - فقال: يا رسول الله، هلك المال، وجاعَ العيال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه ودعا؛ فثار السحاب أمثال الجبال، فلم ينزل عن منبره حتى رأيتُ المطر يتحادر على لحيته. - وفي الجمعة الثانية، قام ذلك الأعرابي، أو غيره فقال: يا رسول الله - تهدم البناء، وغرق المـال، فادع الله لنا؛ فرفع يديه، وقال: ((**اللهم حوَالَيْنا ولا عَلَيْنَا، فما يشير إلى ناحية إلا انفرجت**)).[1]

وما زالت إجابة الداعين أمرًا مشهودًا إلى يومنا هذا؛ لمن صدق اللجوء إلى الله تعالى، وأتى بشرائط الإجابة.

الوجه الثاني: أنَّ آيات الأنبياء التي تسمَّى المعجزات ويشاهدها الناس، أو يسمعون بها، برهان قاطع على وجود مرسلهم، وهو الله تعالى؛ لأنها أمور خارجة عن نطاق البشر، يجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم.

مثال ذلك: آية موسى ﷺ حين أمره الله تعالى أن يضرب بعصاه البحر، فضربه؛ فانفلَق اثنى عشر طريقـًا يابسـًا، والماء بينها كالجبال، قال الله تعـالى: ﴿ فَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنِ ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْبَحْرَ ۖ فَٱنفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَٱلطَّوْدِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾ ﴾. [سورة الشعراء:٦٣]

ومثال ثانٍ: آية عيسى ﷺ حيث كان يحيي الموتى، ويخرجهم من قبورهم بإذن الله، قال الله تعالى عنه: ﴿ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ ﴾. [سورة آل عمران:٤٩]، وقـال: ﴿ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِى ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾ ﴾ [سورة المائدة:١١٠]

---

(١) أخرجه البخاري، في كتاب الجمعة، باب: الاستسقاء في الخطبة يوم الجمعة، حديث رقم: (٨٩١).

ومثال ثالث: لمحمد ﷺ حين طلبت منه قريش آية، فأشار إلى القمر؛ فانفلق فرقتين، فرآه الناس، وفي ذلك قوله تعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۝٢﴾. [سورة القمر:١-٢]

فهذه الآيات المحسوسة التي يجريها الله تعالى؛ تأييدًا لرسله، ونصرًا لهم، تدلُ دلالة قطعية على وجوده تعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بربوبيَّته أي بأنه وحده الرب لا شريك له ولا معين.

والرب: من له الخلق، والملك، و الأمر، فلا خالق إلا الله، ولا مالك إلا هو، و لا أمر إلا له، قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ ۗ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٥٤﴾. [سورة الأعراف:٥٤] وقال: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۚ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ۝١٣﴾. [سورة فاطر:١٣]

و لم يعلم أن أحدًا من الخلق أنكر ربوبية الله سبحانه، إلا أن يكون مكابرًا غير معتقد بما يقول، كما حصل من فرعون، حين قال لقومه: ﴿فَقَالَ أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ ۝٢٤﴾. [سورة النازعات:٢٤] وقال: ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرِى﴾. [سورة القصص:٣٨]، لكن ذلك ليس عن عقيدة، قال الله تعالى: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ۝١٤﴾. [سورة النمل:١٤]. وقال موسى لفرعون، فيما حكى الله عنه: ﴿قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝١٠٢﴾. [سورة الإسراء:١٠٢] ولهذا كان المشركون يقرُّون بربوبية الله تعالى، مع إشراكهم به في الألوهية،

قال الله تعالى: ﴿قُل لِّمَنِ ٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبْعِ وَرَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ ۚ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة المؤمنون:٨٤-٨٩] وقال الله تعالى: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾﴾. [سورة الزخرف:٩]

وقال سبحانه: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۖ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾. [سورة الزخرف:٨٧] وأمر الله سبحانه شامل للأمر الكوني والشرعي، فكما أنه مدبر الكون القاضي فيه بما يريد، حسب ما تقتضيه حكمته، فهو كذلك الحاكم فيه بشرع العبادات، وأحكام المعاملات، حسبما تقتضيه حكمته، فمن اتخذ مع الله تعالى مشرِّعاً في العبادات، أو حاكماً في المعاملات؛ فقد أشرك به، و لم يحقق الإيمان.

المطلب الثالث: الإيمان بألوهيَّته أي: بأنه وحده الإله الحق لا شريك له، و(الإله) بمعنى: (المألوه) أي: (المعبود) حبًّا وتعظيمًا.

قال تعالى: ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾. [سورة البقرة:١٦٣]، وقال تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُولُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾. [سورة آل عمران:١٨]، وكل من اتخذ إلهاً مع الله، يعبد من دونه؛ فألوهيته باطلة، قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾﴾. [سورة الحج:٦٢]. وتسميتها آلهة؛ لا يعطيها حق الألوهية، قال الله تعالى في (اللات والعزى ومناة): ﴿إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن

سُلْطَانٍۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾. [سورة النجم:٢٣]

وقال عن هود: إنه قال لقومه: ﴿قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌۖ أَتُجَٰدِلُونَنِى فِىٓ أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ فَٱنتَظِرُوٓاْ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿٧١﴾﴾. [سورة الأعراف:٧١]

وقال عن يوسف عليه السلام أنه قال لصاحبي السجن: ﴿يَٰصَٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍۚ إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾﴾. [سورة يوسف:٣٩-٤٠]

ولهذا كانت الرسل عليهم الصلاة والسلام يقولون لأقوامهم: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥٓ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾﴾. [سورة الأعراف:٥٩]، ولكن أبى ذلك المشركون، واتخذوا من دون الله آلهة، يعبدونهم مع الله سبحانه وتعالى، ويستنصرون بهم، ويستغيثون.

وقد أبطل الله تعالى اتخاذ المشركين هذه الآلهة ببرهانين عقليين:

الأول: أنه ليس في هذه الآلهة التي اتخذوها شيء من خصائص الألوهية، فهي مخلوقة لا تخلقُ، ولا تجلب نفعاً لعابديها، ولا تدفع عنهم ضررًا، ولا تملك لهم حياة، ولا موتاً، ولا يملكون شيئاً من السموات، ولا يشاركون فيه.

قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْـًٔا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَوٰةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾﴾. [سورة الفرقان:٣]

وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِۖ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾ وَلَا تَنفَعُ

ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنۡ أَذِنَ لَهُۥۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾. [سورة سبأ:٢٢-٢٣]، وقال تعالى: ﴿ أَيُشۡرِكُونَ مَا لَا يَخۡلُقُ شَيۡـٔٗا وَهُمۡ يُخۡلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسۡتَطِيعُونَ لَهُمۡ نَصۡرٗا وَلَآ أَنفُسَهُمۡ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾﴾. [سورة الأعراف:١٩١-١٩٢]

وإذا كانت هذه حال تلك الآلهة؛ فإن اتخاذها آلهة من أسفه السفه، وأبطل الباطل.

والثاني: أن هؤلاء المشركين، كانوا يقرون بأن الله تعالى وحده الرب الخالق الذي بيده ملكوت كل شيء، وهو يجيرُ ولا يُجارُ عليه، وهذا يستلزم أن يوحِّدوه بالألوهية، كما وحَّدوه بالربوبية، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾. [سورة البقرة:٢١-٢٢]

وقال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾﴾. [سورة الزخرف:٨٧]

وقال تعالى: ﴿ قُلۡ مَن يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ أَمَّن يَمۡلِكُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَمَن يُخۡرِجُ ٱلۡحَيَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَيُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتَ مِنَ ٱلۡحَيِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلۡأَمۡرَۚ فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُۚ فَقُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣١﴾ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلۡحَقُّۖ فَمَاذَا بَعۡدَ ٱلۡحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُۖ فَأَنَّىٰ تُصۡرَفُونَ ﴿٣٢﴾﴾. [سورة يونس:٣١-٣٢]

المطلب الرابع: الإيمان بأسمائه وصفاته:

أي: إثبات ما أثبته الله لنفسه في كتابه، أو سنة رسوله ﷺ من الأسماء، و الصفات، على الوجه اللائق به من غير تحريف، ولا تعطيل، ولا تكييف، و لا تمثيل، قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ۖ وَذَرُوا۟ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَـٰٓئِهِۦ ۚ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾﴾. [سورة الأعراف:١٨٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾. [سورة الروم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. [سورة الشورى:١١]

وقد ضلَّ في هذا الأمر طائفتان:

إحداهما: (المعطِّلة):

وهم الذين أنكروا الأسماء و الصفات، أو بعضها، زاعمين أن إثباتها لله يستلزم التشبيه، أي: تشبيه الله تعالى بخلقـــه، وهذا الزعم باطل؛ لوجوه، منها:

الأول: أنه يستلزم لوازم باطلة؛ كالتناقض في كلام الله سبحانه، وذلك أن الله تعـــالى أثبت لنفسه الأسماء، والصفات، ونفى أن يكون كمثله شيء، ولو كان إثباتها يستلزم التشبيه؛ لزم التناقض في كلام الله، وتكذيب بعضه بعضـــاً.

الثاني: أنه لا يلزم من اتفاق الشيئين في اسم أو صفة أن يكونا متماثلين، فأنت تـــرى الشخصين يتفقان في أن كلاًّ منهما إنسان سميع، بصير، متكلم، ولا يلزم مـــن ذلـــــك أن يتماثلا في المعـــاني الإنسانية، والسمع، والبصـــر، والكلام، وترى الحيـــوانات لهـــا أيـــدٍ، وأرجلٌ، وأعينٌ، ولا يلزم من اتفاقها هذا أن تكون أيديها، وأرجلها، وأعينها متماثلة.

فإذا ظهر التباين بين المخلوقات فيما تتفقُ فيه من أسماء، أو صفات؛ فالتباين بين الخالق و المخلوق أبين وأعظم، ولله المثل الأعلى.

الطائفة الثانية: (المشبهة):

وهم الذين أثبتوا الأسماء والصفات مع تشبيه الله تعالى بخلقه، زاعمين أن هذا مقتضى دلالة النصوص؛ لأن الله تعالى يخاطب العباد بما يفهمون، وهذا الزعم باطل؛ لوجوه منها:

الأول: أن مشابهة الله تعالى لخلقه أمر يبطله العقل، والشرع، ولا يمكن أن يكون مقتضى نصوص الكتاب والسنة أمرًا باطلاً.

الثاني: أن الله تعالى خاطبَ العباد بما يفهمون من حيث أصل المعنى، أما الحقيقة والكيفية الذي عليه ذلك المعنى؛ فهو مما استأثر الله تعالى بعلمه فيما يتعلق بذاته، وصفاته.

فإذا أثبت الله لنفسه أنه سميع؛ فإن السمع معلوم من حيث أصل المعنى، (وهو إدراك الأصوات) لكن حقيقة ذلك بالنسبة إلى سمع الله تعالى غير معلومة؛ لأن حقيقة السمع تتباين حتى في المخلوقات؛ فالتباين فيها بين الخالق و المخلوق أبين وأعظم.

وإذا أخبر الله تعالى عن نفسه أنه استوى على عرشه؛ فإن الاستواء من حيث أصل المعنى معلوم، لكن حقيقة الاستواء التي هو عليها غير معلومة لنا بالنسبة إلى استواء الله على عرشه؛ لأن حقيقة الاستواء تتباين في حق المخلوق، فليس الاستواء على كرسي مستقر كالاستواء على رحل بعير صعب نفور، فإذا تباينت في حق المخلوق؛ فالتباين فيها بين الخالق والمخلوق أبين و أعظم، ولله المثل الأعلى.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالله تعالى:

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر للمؤمنين ثمرات جليلة، منها:

اعلم- وفقني الله وإياك- أنَّ العلم بصفات الله عر وجل، والإيمان بها، على ما يليق به سبحانه، وتدبرها: يورث ثمرات عظيمة وفوائد جليلة، تجعل صاحبها يذوق حلاوة الإيمان، وقد حُرِمَها قومٌ كثيرون من المعطلة والمؤولة والمشبهة، وإليك بعضاً منها:

أولاً: ثمرات الإيمان بالله بصفة عامة:

والإيمان بالله تعالى على ما وصفنا يثمر ثمرات جليلة منها:

الأولى: تحقيق توحيد الله تعالى بحيث لا يتعلق بغيره رجاء، ولا خوف، ولا يعبد غيره.

الثانية: كمال محبة الله تعالى، وتعظيمه بمقتضى أسمائه الحسنى وصفاته العليا.

الثالثة: تحقيق عبادته بفعل ما أمر به واجتناب ما نهى عنه.

ثانياً: ثمرات الإيمان بأسماء الله وصفاته خاصة:

١- أنَّ العبد إذا آمن بصفات (العلم، والإحاطة، والمعية)، أورثه ذلك الخوف من الله عز وجل المطلع عليه الرقيب الشهيد، فإذا آمن بصفة (السمع)، علم أنَّ الله يسمعه، فلا يقول إلا خيراً، فإذا آمن بصفات (البصر، والرؤية، والنظر، والعين) علم أنَّ الله يراه فلا يفعل إلا خيراً؛ فما بالك بعبد يعلم أنَّ الله يسمعه، ويراه، ويعلم ما هو قائل وعامل، أليس حري بهذا العبد أنَّ لا يجده الله حيث نهاه، ولا يفتقده حيث أمره؟! فإذا علم العبد وآمن أنَّ الله (يحب، ويرضى) عمل ما يحبه معبوده ومحبوبه وما يرضيه، فإذا آمن أنَّ من صفاته (الغضب، والكره، والسخط، والمقت، والأسف) عمِلَ بما لا يغضب مولاه ولا يكرهه حتى لا يسخط عليه ويمقته ثم يلعنه ويطرده من رحمته، فإذا آمن بصفات (الفرح، والضحك)، أنس لهذا الرب الذي يفرح لعباده ويتبشبش لهم ويضحك لهم؛ ((**ما عدمنا خيراً من رب يضحك**)).

٣- أنَّه إذا علم العبد وآمن بصفات الله من (الرحمة، والرأفة، والتوْب، واللطف، والعفو، والمغفرة، والستر، وإجابة الدعاء) فإنَّه كلما وقع في ذنب، دعى الله أنْ يرحمه ويغفر

له ويتوب عليه، وطمع فيما عند الله من سترٍ ولطفٍ بعباده المؤمنين، فأكسبه هذا رجعة وأوبة إلى الله كلما أذنب، ولا يجد اليأس إلى قلبه سبيلاً، كيف ييأس من يؤمن بصفات (الصبر، والحلم)؟! كيف ييأس من رحمة الله من علم أنَّ الله يتصف بصفة (الكرم، والجود، والعطاء)؟!

٤- ومنها: أنَّ العبد الذي يعلم أنَّ الله يتصف بصفات (القهر، والغلبة، والسلطان، والقدرة، والهيمنة، والجبروت) يعلم أنَّ الله لا يعجزه شيء؛ فهو قادرٌ على أنْ يخسف به الأرض، وأنْ يعذبه في الدنيا قبل الآخرة؛ فهو القاهر فوق عباده، وهو الغالب من غالبه، وهو المهيمن على عماده، ذو الملكوت والجبروت، والسلطان القديم، فسبحان ربي العظيم.

٥- ومن ثمرات الإيمان بصفات الله عز وجل أنْ يظل العبد دائم السؤال لربه، فإنْ أذنب سأله بصفات (الرحمة، والتَّوْب، والعفو، والمغفرة) أنْ يرحمه ويتوب عليه ويعفو عنه ويغفر له، وإنْ خشي على نفسه من عدو متجهم جبار، سأل الله بصفات (القوة، والغلبة، والسلطان، والقهر، والجبروت)؛ رافعاً يديه إلى السماء، قائلاً: يا رب، يا ذا القوة والسلطان والقهر والجبروت، اكفنيه. فإنْ آمن أنَّ الله (كفيل، حفيظ، حسيب، وكيل)، قال: حسبنا الله ونعم الوكيل، وتوكل على (الواحد، الأحد، الصمد)، وعلم أنَّ الله ذو (العزة، والشدة، والمحال، والقوة، والمنعة) مانعه من أعدائه، ولنْ يصلوا إليه بإذنه تعالى، فإذا ما أصيب بفقر؟ دعى الله بصفات (الغنى، والكرم، والجود، والعطاء)، فإذا أصيب بمرض؛ دعاه لأنَّه هو (الشافي، الكافي)، فإنْ منع الذرية؛ سأل الله أنْ يرزقه ويهبه الذرية الصالحة؛ لأنَّه هو (الرزاق، الوهاب)... وهكذا فإنَّ من ثمرات العلم بصفات الله والإيمان بها دعاؤه بها.

٦- أنَّ العبد إذا تدبر صفات الله من (العظمة، والجلال، والقوة، والجبروت، والهيمنة)؛ استصغر نفسه، وعلم ضعفها وعجزها، وإذا علم أنَّ الله مختصٌ بصفة (الكبرياء)؛ لم يتكبر على أحد، ولم ينازع الله فيما خص نفسه من الصفات، وإذا علم أنَّ الله متصف بصفة (الغنى، والملك، والعطاء) استشعر افتقاره إلى مولاه الغني الحميد سبحانه وتعالى، مالك الملك، الذي يعطي من يشاء ويمنع من يشاء.

٧- أنَّ العبد إذا علم أنَّ الله يتصف بصفة (القوة، والعزة، والغلبة)، وآمن به؛ علم أنَّه إنما تكتسب قوته من قوة الله، وعزته من عزة الله؛ فلا يذل ولا يخنع لكافر، وعلم أنَّه إنْ كان مع الله؟ كان الله معه، ولا غالب لأمر الله.

٨- ومن ثمرات الإيمان بصفات الله: أنْ لا ينازع الله في صفة (الحكم، والألوهية)؛ فلا يحكم إلا بما أنزل الله، ولا يتحاكم إلا إلى ما أنزل الله.

٩- ومنها: أنَّ صفات (الكيد، والمكر، والاستهزاء، والخداع) إذ ا آمن بها العبد على ما يليق بذات الله وجلاله وعظمته ! علم أنْ لا أحد يستطيع أنْ يكيد لله أو يمكر به، وهو خير الماكرين سبحانه، ويعلم العبد أنَّ من أثر استهزاء الله بالعبد أنْ يغضب عليه ويمقته ويعذبه، فكان الإيمان بهذه الصفات وقاية للعبد من الوقوع في مقت الله وغضبه.

١٠- ومنها أنَّ العبد الذي يعلم أنَّ الله متصف بصفة (السلام، والمؤمن، والصدق)؛ فإنَّها يشعر بالطمأنينة والهدوء النفسي، فالله هو (السلام)، ويحب السلام، وينشر السلام بين المؤمنين، وهو (المؤمن) الذي أمن الخلق من ظلمه، وإذا اعتقد العبد أنَّ الله متصف بصفة (الصدق)، وأنَّه وعده إنْ هو عمل صالحاً جنات تجري من تحتها الأنهار؛ علم أنَّ الله صادق في وعده، لنْ يخلفه، فيدفعه هذا لمزيد من الطاعة، طاعة من يثق أن الله لا يخلف وعده.

١١- ومنها: أنَّ صفات الله الخبرية (الوجه، واليدين، والأصابع، والأنامل، والقدمين، والساق، وغيرها) تكون كالاختبار الصعب للعباد، فمن آمن بها وصدق بها على وجه يليق بذات الله عز وجل بلا تمثيل ولا تحريف ولا تكييف، وقال: ﴿**وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٧**﴾. [سورة آل عمران:٧]، ولا فرق بين إثبات صفة العلم والحياة والقدرة وبين هذه الصفات، من هذا إيمانه ومعتقده، فقد فاز فوزاً عظيماً، ومن قدم عقله السقيم على النقل الصحيح، وأوَّل هذه الصفات، وجعلها من المجاز، وحرف فيها، وعطلها؛ فقد خسر خسراناً مبيناً، إذ فَرَّقَ بين صفةٍ وصفة، وكذَّبَ الله فيما وصف به نفسه، وكذَّبَ رسوله ﷺ، فلو لم يكن من ثمرة الإيمان بهذه الصفات إلا أنْ تدخل صاحبها في زمرة

المؤمنين الموحدين؛ لكفى بها ثمرة، ولو لم يكن من ثمراتها إلا أنها تميز المؤمن الحق الموحد المصدق لله ورسوله ﷺ وبين ذاك الذي تجرَّأ عليهما، وحرَّف نصوصهما، واستدرك عليهما فكيف إذا علم أنَّ هناك ثمرات أخرى عظيمة للإيمان بهذه الصفات الخبرية؛ منها أنَّك إذا آمنت أنَّ لله وجهاً يليق بجلاله وعظمته، وأنَّ النَّظر إليه من أعظم ما ينعم الله على عباده يوم القيامة، وقد وعد به عباده الصالحين؛ سألت الله النظر إلى وجهه الكريم، فأعطاك إياه، وأنَّك إذا آمنت أنَّ لله يداً ملأى لا يغيضها نفقة، وأنَّ الخير بين يديه سبحانه؛ سألته مما بين يديه، وإذا علمت أنَّ قلبك بين أصبعين من أصابع الرحمن؛ سألت الله أنْ يثبت قلبك على دينه .... وهكذا.

١٢- ومن ثمرات الإيمان بصفات الله عز وجل: تنزيه الله وتقديسه عن النقائص، ووصفه بصفات الكمال، فمن علمتْ أنَّ من صفاته (القدوس، السبوح) نزهة الله من كل عيبٍ ونقص، وعلمتْ أنَّ الله ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾. [سورة الشورى:١١]

١٣- ومنها: أنَّ العبد الذي يؤمن أنَّ من صفات الله الخاصة به (المصور)؛ فإنَّه لا يحاول مضاهاة الله في ذلك، ولا منازعته فيه، فيبتعد عن التصوير المحرم من ذوات الأرواح.

١٤- ومنها: أنَّ من علم أنَّ من صفات الله (الحياة، والبقاء) علم أنَّها تعبد إلهاً لا يموت، ولا تأخذه سنة ولا نوم، فأورثها ذلك محبة وتعظيماً وإجلالاً لهذا الرب الذي هذه صفته.

١٥- ومن ثمرات الإيمان بصفة (العلو، والفوقية، والاستواء على العرش، والنزول، والقرب)؛ أنَّ العبد يعلم أنَّ الله منزهٌ عن الحلول بالمخلوقات، وأنَّه فوق كل شيء، مطلع على كل شيء، بائن عن خلقه، مستو على عرشه، وهو قريب من عباده بعلمه، فإذا احتاج العبد إلى ربه؛ وجده قريباً منه، فيدعوه، فيستجيب دعاءه، وينزل إلى السماء الدنيا في الثلث الآخر من الليل كما يليق به سبحانه، فيقول: من يدعوني فأستجيب له، فيورث ذلك حرصاً عند العبد بتفقد هذه الأوقات التي يخلو فيها مع ربه القريب منه.

١٦- ومنها: أنَّ الإيمان بصفة (الكلام) وأنَّ القرآن كلام الله يجعل العبد يستشعر وهو يقرأ

القرآن أنَّه يقرأ كلام الله، فإذا قرأتْ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ۝٦﴾ [سورة الانفطار:٦] أحسست أنَّ الله يكلمك ويتحدث إليك، وأنَّك إذا آمنت بهذه الصفة، وقرأت في الحديث الصحيح أنَّ الله سيكلمك يوم القيامة، ليس بينه وبينك ترجمان استحيت أنْ تعصي الله في الدنيا، وأعددت لذلك الحساب والسؤال جواباً.

وهكذا؛ فما من صفة لله تعالى؛ إلا وللإيمان بها ثمرات عظيمة وآثار كبيرة مترتبة على ذلك الإيمان؛ فما أعظم نعم الله على أهل السنة والجماعة الذين آمنوا بكل ذلك على الوجه الذي يليق بالله تعالى !

المبحث الثاني
الإيمان بالملائكة

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بوجود الملائكة.

المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه.

المطلب الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاتهم.

المطلب الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالملائكة.

الإيمان بالملائكة: [1]

والإيمان بالملائكة يتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بوجود الملائكة.

الملائكة: عالَمٌ غيبي، مخلوقون، عابدون لله تعالى، وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، خلقهم الله تعالى من نور، ومنحهم الانقياد التامَّ لأمره، والقوة على تنفيذه. قال الله تعالى: ﴿وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَمَنْ عِندَهُۥ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسَبِّحُونَ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ ﴿٢٠﴾﴾. [سورة الأنبياء:١٩-٢٠]

وهم عدد كثير، لا يحصيهم إلا الله تعالى، وقد ثبت في الصحيحين من حديث أنس ﷺ في قصة المعراج أن النبي ﷺ رُفع له البيت المعمور في السماء، يُصلّي فيه كلَّ يوم سبعون ألف ملك، إذا خرجوا لم يعودوا إليه آخر ما عليهم. [2]

المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه (كجبريل) ومن لم نعلم أسماءهم نؤمن بهم إجمالاً.

المطلب الثالث: الإيمان بما علمنا من صفاهم، كصفة (جبريل) فقد أخبر النبي ﷺ أنه رآه على صفته التي خُلق عليها، وله ستمائة جناح قد سدَّ الأفق.

وقد يتحول الملك بأمر الله تعالى إلى هيئة رجل، كما حصل (لجبريل) حين أرسله الله تعالى إلى مريم فتمثَّل لها بشرًا سويًّا، وحين جاء إلى النبي ﷺ وهو جالس في أصحابه، جاءه بصفة رجلٍ شديدِ بياضِ الثياب، شديدِ سوادِ الشعر، لا يُرى عليه أثرُ السفر، ولا يعرفه أحد من الصحابة، فجلس إلى النبي ﷺ فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وسأل النبي ﷺ عن الإسلام، والإيمان، والإحسان، والساعة، وأماراتها؛ فأجابه النبي ﷺ فانطلق، ثم قال ﷺ: ((هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم)). [3]

---

(١) ينظر: نبذة في العقيدة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب فضائل الصحابة، باب المعراج رقم: (٣٦٧٤)؛ ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: الإسراء برسول الله ﷺ إلى السموات وفرض الصلوات، رقم : (٤٠٩)

(٣) أخرجه مسلم، كتاب الإيمان، باب: بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم (٩٣) .

وكذلك الملائكة الذين أرسلهم الله تعالى إلى إبراهيم، ولوط كانوا على صورة رجال.

المطلب الرابع: الإيمان بما علمنا من أعمالهم التي يقومون بها بأمر الله تعالى؛ كتسبيحه، والتعبد له ليلاً ونهارًا بدون ملل، ولا فُتُور.

وقد يكون لبعضهم أعمال خَاصَّة.

مثل: جبريل الأمين على وحي الله تعالى، يرسله الله به إلى الأنبياء و الرسل.

وميكائيل: الموكل بالقطر أي بالمطر والنبات.

وإسرافيل: الموكل بالنفخ في الصور عند قيام الساعة وبعث الخلق.

وملك الموت: الموكل بقبض الأرواح عند الموت.

ومالك: الموكل بالنار، وهو خازن النار.

والملائكة الموكلين بالأجِنَّةِ في الأرحام، إذا أتم الإنسان أربعة أشهر في بطن أمه، بعث الله إليه ملكًا وأمره بكتب رزقه، وأجله، وعمله، وشقيٍّ، أو سعيد.

والملائكة الموكلين بحفظ أعمال بني آدم، وكتابتها لكل إنسان، ملكان أحدهما عن اليمين والثاني عن الشمال.

والملائكة الموكلين بسؤال الميت إذا وضع في قبره؛ يأتيه ملكان، يسألانه عن ربه، ودينه، ونبيه.

وقد أنكر قوم من الزائغين كون الملائكة أجسامًا، وقالوا: إنهم عبارة عن قوى الخير الكامنة في المخلوقات، وهذا تكذيب لكتاب الله تعالى، وسنة رسوله ﷺ، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾. [سورة فاطر:١]

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۙ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾. [سورة الأنفال:٥٠]

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾﴾. [سورة سبأ:٢٣]

وقال في أهل الجنة: ﴿جَنَّٰتُ عَدۡنٖ يَدۡخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنۡ ءَابَآئِهِمۡ وَأَزۡوَٰجِهِمۡ وَذُرِّيَّٰتِهِمۡۖ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَدۡخُلُونَ عَلَيۡهِم مِّن كُلِّ بَابٖ ﴿٢٣﴾ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم بِمَا صَبَرۡتُمۡۚ فَنِعۡمَ عُقۡبَى ٱلدَّارِ ﴿٢٤﴾﴾. [سورة الرعد:٢٣-٢٤]

وفي صحيح البخاري عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: **((إِذَا أَحَبَّ اللَّهُ الْعَبْدَ نَادَى جِبْرِيلَ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحْبِبْهُ فَيُحِبُّهُ جِبْرِيلُ فَيُنَادِي جِبْرِيلُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ فُلاَنًا فَأَحِبُّوهُ فَيُحِبُّهُ أَهْلُ السَّمَاءِ ثُمَّ يُوضَعُ لَهُ الْقَبُولُ فِي الأَرْضِ))**. (١)

وفيه أيضاً عن أبي هريرة ﷺ قال: قال النبي ﷺ: **((إِذَا كَانَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ كَانَ عَلَى كُلِّ بَابٍ مِنْ أَبْوَابِ الْمَسْجِدِ مَلاَئِكَةٌ يَكْتُبُونَ الأَوَّلَ فَالأَوَّلَ فَإِذَا جَلَسَ الإِمَامُ طَوَوُا الصُّحُفَ وَجَاءُوا يَسْتَمِعُونَ الذِّكْرَ))**. (٢)

وهذه النصوص صريحة في أن الملائكة أجسام لا قوى معنوية، كما قال الزائغون، وعلى مقتضى هذه النصوص أجمع المسلمون.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالملائكة:

والإيمان بالملائكة، يثمر ثمرات جليلةً منها:

الأولى: العلم بعظمة الله تعالى، وقوَّته، وسلطانه، فإن عظمة المخلوق تدل على عظمة الخالق.

الثانية: شكر الله تعالى على عنايته ببني آدم، حيث وكَّل من هؤلاء الملائكة من يقوم بحفظهم، وكتابة أعمالهم، وغير ذلك من مصالحهم.

الثالثة: محبة الملائكة على ما قاموا به من عبادة الله تعالى.

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم: (٣٠٣٧).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ذكر الملائكة، رقم: (٣٠٣٩).

المبحث الثالث
الإيمان بالكتب

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأنّ نزولها من عند الله.

المطلب الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه.

المطلب الثالث: تصديق ما صح من أخبارها .

المطلب الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها .

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالكتب.

الإيمان بالكتب:

والإيمان بالكتب يتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأن نزولها من عند الله حقًّا.

الكتب: جمع (كتاب) بمعنى (مكتوب).

والمراد بها هنا: الكتب التي أنزلها الله تعالى على رسله رحمة للخلق، وهداية لهم، ليصلُوا بها إلى سعادتهم في الدنيا والآخرة.

وهي منزلة من عند الله تعالى على من شاء من رسله.

المطلب الثاني: الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه: كالقرآن الذي نزل على محمد ﷺ، والتوراة التي أنزلت على موسى ﷺ، والإنجيل الذي أنزل على عيسى ﷺ، والزَّبُور الذي أوتيه داود ﷺ، وأما ما لم نعلم اسمه؛ فنؤمن به إجمالاً.

المطلب الثالث: تصديق ما صحَّ من أخبارها، كأخبار القرآن، وأخبار ما لم يبدل أو يحرف من الكتب السابقة.

المطلب الرابع: العمل بأحكام ما لم ينسخ منها، والرضا و التسليم به سواء أفهمنا حكمته أم لم نفهمها، وجميع الكتب السابقة منسوخة بالقرآن العظيم قال الله تعالى:

﴿ وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ ٱلْكِتَٰبِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ ﴾.

[سورة المائدة:٤٨] أي (حاكماً عليه).

وعلى هذا، فلا يجوز العمل بأي حكم من أحكام الكتب السابقة إلا ما صحَّ منها، وأقرَّه القرآن.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالكتب:

والإيمان بالكتب يثمر ثمراتٍ جليلةً منها:

الأولى: العلم بعناية الله تعالى بعباده، حيث أنزل لكل قوم كتاباً، يهديهم به.

الثانية: العلم بحكمة الله تعالى في شرعه، حيث شرَّع لكل قوم ما يناسب أحوالهم، كما قال الله تعالى: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾. [سورة المائدة:٤٨]

الثالثة: شكر نعمة الله في ذلك.

المبحث الرابع
الإيمان بالرسل

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأنَّ رسالتهم حقٌّ من عند الله تعالى.

المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسهم.

المطلب الثالث: تصديق ما صح عنهمن من أخبارهم.

المطلب الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالرسل.

الإيمان بالرسل:

الرسل: جمع (رسول) بمعنى: (مُرسَل) أي مبعوث بإبلاغ شيء.

والمراد هنا: من أوحي إليه من البشر بشرع وأُمر بتبليغه.

وأول الرسل نوح عليه السلام وآخرهم محمد ﷺ.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾. [سورة النساء:١٦٣]

وفي صحيح البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه في حديث الشَّفاعة أن النبي ﷺ: ((ذكر أن الناس يأتون إلى آدم؛ ليشفع لهم، فيعتذر إليهم ويقول: ائتوا نوحاً أول رسولٍ بعثه الله)) وذكر تمامَ الحديث. (١)

وقال الله تعالى في محمد ﷺ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُمۡ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ٤٠﴾. [سورة الأحزاب:٤٠]

ولم تخلُ أمةٌ من رسول، يبعثه الله تعالى بشريعة مستقلة إلى قومه، أو نبي يوحى إليه بشريعة من قبله؛ ليجددها، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ بِٱلۡحَقِّ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗاۚ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ٢٤﴾. [سورة فاطر:٢٤]

والرسل بشر مخلوقون، ليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء، قال الله تعالى عن نبيه محمد ﷺ وهو سيد الرسل، وأعظمهم جاهاً عند الله: ﴿قُل لَّآ أَمۡلِكُ لِنَفۡسِي نَفۡعٗا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُۚ وَلَوۡ كُنتُ أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ لَٱسۡتَكۡثَرۡتُ مِنَ ٱلۡخَيۡرِ وَمَا مَسَّنِيَ ٱلسُّوٓءُۚ إِنۡ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٞ وَبَشِيرٞ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ١٨٨﴾. [سورة الأعراف:١٨٨]

وقال تعالى: ﴿قُلۡ إِنِّي لَآ أَمۡلِكُ لَكُمۡ ضَرّٗا وَلَا رَشَدٗا ٢١ قُلۡ إِنِّي لَن يُجِيرَنِي مِنَ ٱللَّهِ أَحَدٞ وَلَنۡ

(١) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب صفة الجنة و النار، رقم: (٦١٩٧)

﴿أَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾. [سورة الجن:٢١-٢٢]

وتلحقهم خصائص البشرية: من المرض، والموت، والحاجة إلى الطعام، والشراب، وغير ذلك، قال الله تعالى عن إبراهيم عليه الصلاة والسلام في وصفه لربه تعالى: ﴿وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾﴾. [سورة الشعراء:٧٩-٨٠]

وقال النبي ﷺ: ((إنما أنا بشرٌ مثلكم أنسى كما تنسون؛ فإذا نسيت؛ فذكِّروني)).[1]

وقد وصفهم الله تعالى بالعبودية له في أعلى مقاماتهم، وفي سياق الثَّناء عليهم؛ فقال تعالى في نوح ﷺ: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾﴾. [سورة الإسراء:٣] وقال في النبي ﷺ: ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾﴾. [سورة الفرقان:١]

وقال في إبراهيم، وإسحاق، ويعقوب صلَّى الله عليهم وسلَّم: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَـٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَـٰقَ وَيَعْقُوبَ أُو۟لِى ٱلْأَيْدِى وَٱلْأَبْصَـٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَـٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾. [سورة ص:٤٥-٤٧]

وقال في عيسى ابن مريم ﷺ: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَـٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾﴾. [سورة الزخرف:٥٩]

والإيمان بالرسل يتضمن خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأن رسالتهم حق من الله تعالى، فمن كفر برسالة واحد منهم؛ فقد كفر بالجميع، كما قال الله تعالى: ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾. [سورة الشعراء:١٠٥]، فجعلهم الله مكذبين لجميع الرسل، مع أنه لم يكن رسول غيره حين كذَّبوه، وعلى هذا فالنصارى الذين كذَّبوا محمدًا ﷺ ولم يتبعوه؛ هم مكذِّبون للمسيح ابن مريم، غير متبعين له أيضـًا، لا سيَّما أنه قد بشرهم بمحمد ﷺ ولا معنى لبشارتهم به إلا أنه رسول إليهم، ينقذُهم الله به من الضَّلالة، ويهديهم إلى صراط مستقيم.

---

(١) رواه البخاري، كتاب أبواب القبلة، باب التوجه إلى القبلة حيث كان، رقم (٣٩٢).

المطلب الثاني: الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه؛ مثل: محمد، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ونوح عليهم الصلاة والسلام، وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل، وقد ذكرهم الله تعالى في موضعين من القرآن في قوله: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٧﴾﴾. [سورة الأحزاب:٧]، وقوله: ﴿۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ۖ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾. [سورة الشورى:١٣]

وأما من لم نعلم اسمه منهم؛ فنؤمن به إجمالاً، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ﴾. [سورة غافر:٧٨]

المطلب الثالث: تصديق ما صحَّ عنهم من أخبارهم.

المطلب الرابع: العمل بشريعة من أرسل إلينا منهم، وهو خاتمهم محمد ﷺ المرسل إلى جميع الناس، قال الله تعالى: ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾. [سورة النساء:٦٥]

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالرسل:

وللإيمان بالرسل ثمراتٌ جليلة منها:

الأولى: العلم برحمة الله تعالى، وعنايته بعباده، حيث أرسل إليهم الرسل؛ ليهدوهم إلى صراط الله تعالى، ويبينوا لهم كيف يعبدون الله؛ لأنّ العقل البشري، لا يستقل بمعرفة ذلك.

الثانية: شكره تعالى على هذه النعمة الكبرى.

الثالثة: مَحبَّةُ الرسل عليهم الصلاة والسلام وتعظيمهم، والثّناء عليهم بما يليق بهم؛ لأنهم رسل الله تعالى، ولأنهم قاموا بعبادته، وتبليغ رسالته، والنُّصحِ لعباده.

وقد كذَّب المعاندون رسلهم زاعمين أن رسل الله تعالى لا يكونون من البشر! وقد ذكر الله تعالى هذا الزعم، وأبطله بقوله سبحانه: ﴿وَمَا مَنَعَ ٱلنَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓاْ إِذْ جَآءَهُمُ ٱلْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓاْ أَبَعَثَ ٱللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٤﴾ قُل لَّوْ كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ مَلَٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ﴿٩٥﴾﴾. [سورة الإسراء:٩٤-٩٥]

فأبطل الله تعالى هذا الزعم بأنه لابد أن يكون الرسول بشرًا؛ لأنه مرسل إلى أهل الأرض، وهم بشر، ولو كان أهل الأرض ملائكة؛ لنزَّل الله عليهم من السماء ملكًا رسولاً؛ ليكون مثلهم، وهكذا حكى الله تعالى عن المكذبين للرسل أنهم قالوا: ﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾ [سورة إبراهيم:١٠-١١]

المبحث الخامس

الإيمان باليوم الآخر

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالبعث.

المطلب الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء .

المطلب الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق.

المطلب الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر .

الإيمان باليوم الآخر:

اليوم الآخر: يوم القيامة الذي يُبْعثُ الناس فيه؛ للحساب، والجزاء.

وسمِّي بذلك؛ لأنه لا يوم بعده، حيث يستقرُ أهل الجنة في منازلهم، وأهل النار في منازلهم.

والإيمان باليوم الآخر يتضمن أربعة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بالبعث: وهو إحياء الموتى حين ينفخُ في الصور النفخة الثانية؛ فيقوم الناس لرب العالمين، حفاة غيرَ منتعلين، عراة غيرَ مستترين، غُرلاً غيرَ مختتنين، قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾. [سورة الأنبياء:١٠٤]

والبعث: حقٌّ ثابت، دلَّ عليه الكتابُ، و السُّنَّةُ، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾. [سورة المؤمنون:١٥-١٦]

وقال النبي ﷺ: ((يحشر الناس يوم القيامة حفاة عراة غرلاً)). (١)

وأجمع المسلمون على ثبوته، وهو مقتضى الحكمة، حيث تقتضي أن يجعل الله تعالى لهذه الخليقة معادًا، يجازيهم فيه على ما شرعه لهم فيما بعث به رسله، قال الله تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾. [سورة المؤمنون:١١٥] وقال لنبيه ﷺ: ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾﴾. [سورة القصص:٨٥]

(١) متفق عليه، واللفظ لمسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب فناء الدنيا، رقم: (٧١٢٧).

المطلب الثاني: الإيمان بالحساب والجزاء: يحاسَبُ العبد على عمله، ويجازى عليه، وقد دلَّ على ذلك الكتاب، والسنة، وإجماع المسلمين.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم ﴿٢٦﴾﴾. [سورة الغاشية:٢٥-٢٦] وقال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٦٠﴾﴾. [سورة الأنعام:١٦٠] وقال تعالى: ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾. [سورة الأنبياء:٤٧]

وعن ابن عمر رضي الله عنهما أنَّ النبي ﷺ قال: ((**إِنَّ اللَّهَ يُدْنِي الْمُؤْمِنَ فَيَضَعُ عَلَيْهِ كَنَفَهُ وَيَسْتُرُهُ فَيَقُولُ أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا أَتَعْرِفُ ذَنْبَ كَذَا فَيَقُولُ نَعَمْ أَيْ رَبِّ حَتَّى إِذَا قَرَّرَهُ بِذُنُوبِهِ وَرَأَى فِي نَفْسِهِ أَنَّهُ هَلَكَ قَالَ سَتَرْتُهَا عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَأَنَا أَغْفِرُهَا لَكَ الْيَوْمَ فَيُعْطَى كِتَابَ حَسَنَاتِهِ وَأَمَّا الْكَافِرُ وَالْمُنَافِقُونَ فَيَقُولُ الْأَشْهَادُ ﴿هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ ۚ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٨﴾﴾**)). (١)

وصحَّ عن النبي ﷺ: ((**مَنْ هَمَّ بِحَسَنَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ لَهُ عَشْرَ حَسَنَاتٍ فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةً وَاحِدَةً وَمَنْ هَمَّ بِسَيِّئَةٍ فَعَمِلَهَا كُتِبَتْ عَلَيْهِ سَيِّئَةً وَاحِدَةً فَإِنْ لَمْ يَعْمَلْهَا لَمْ يُكْتَبْ عَلَيْهِ شَيْءٌ**)). (٢)

وقد أجمع المسلمون على إثبات الحساب والجزاء على الأعمال، وهو مقتضى الحكمة؛ فإن الله تعالى أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وفرض على العباد قبول ما جاءوا به، و العمل بما يجب العمل به منه، وأوجب قتال المعارضين له وأحلَّ دماءهم، وذرِّيَّاتهم، ونساءهم، وأموالهم، فلو لم يكن حساب ولا جزاء؛ لكان هذا من العبث الذي ينزهُ الرب الحكيم عنه، وقد أشار الله تعالى إلى ذلك بقوله: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب المظالم، باب: قول الله تعالى ألا لعنة الله على الظالمين، رقم: (٢٣٠٩).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: من هم بحسنة أو سيئة، رقم: (٦١٢٦) ورواه مسلم، كتاب الإيمان، باب: إذا هم العبد بحسنة كتبت وإذا هم بسيئة لم تكتب، رقم: (٣٣٥) .

﴿فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ۝٧﴾. [سورة الأعراف:٦-٧]

المطلب الثالث: الإيمان بالجنة والنار وأنهما المآل الأبدي للخلق.

فالجنة دار النعيم التي أعدها الله تعالى للمؤمنين المتقين، الذين آمنوا بما أوجب الله عليهم الإيمان به، وقاموا بطاعة الله ورسوله، مخلصين لله، مُتَّبِعِين لرسوله، فيها من أنواع النعيم ((ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر)) (١) قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ۝٧ جَزَآؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُۥ ۝٨﴾. [سورة البينة:٧-٨] وقال تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ۝١٧﴾. [سورة السجدة:١٧]

وأما النار: فهي دار العذاب التي أعدَّها الله تعالى للكافرين الظالمين، الذين كفروا به وعصوا رسله، فيها من أنواع العذاب، والنَّكال ما لا يخطر على البال قال الله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتْ لِلْكَٰفِرِينَ ۝١٣١﴾. [سورة آل عمران:١٣١]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِي ٱلْوُجُوهَ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ۝٢٩﴾. [سورة الكهف:٢٩]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ۝٦٤ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ۝٦٥ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ۝٦٦﴾. [سورة الأحزاب:٦٤-٦٦]

---

(١) أخرجه البخاري، كتاب بدء الخلق، باب: ما جاء في وصف الجنة وأنها مخلوقة، رقم: (٣٠٧٢) .

المطلب الرابع: ثمرات الإيمان باليوم الآخر:

للإيمان باليوم الآخر ثمراتٌ جليلة منها:

الأولى: الرغبة في فعل الطاعة، والحرص عليها؛ رجاء لثواب ذلك اليوم.

الثانية: الرهبة من فعل المعصية، ومن الرضى بها؛ خوفاً من عقاب ذلك اليوم.

الثالثة: تسلية المؤمن عمَّا يفوته من الدنيا بما يرجوه من نعيم الآخرة، وثوابها.

وقد أنكر الكافرون البعث بعد الموت؛ زاعمين أن ذلك غير ممكن.

وهذا الزعم باطل، دلَّ على بطلانه الشرع، والحس، والعقل.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْۚ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبۡعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلۡتُمۡۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ٧﴾. [سورة التغابن:٧]. وقد اتفقت جميع الكتب السماوية عليه.

وأما الحس: فقد أرى الله عباده إحياء الموتى في هذه الدنيا، وفي سورة البقرة، خمسة أمثلة على ذلك، هي:

المثال الأول: قوم موسى حين قالوا له: ﴿وَإِذۡ قُلۡتُمۡ يَٰمُوسَىٰ لَن نُّؤۡمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهۡرَةٗ فَأَخَذَتۡكُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ٥٥﴾. [سورة البقرة:٥٥] فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى مخاطباً بني إسرائيل: ﴿ثُمَّ بَعَثۡنَٰكُم مِّنۢ بَعۡدِ مَوۡتِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٥٦﴾. [سورة البقرة:٥٦]

المثال الثاني: في قصة القتيل الذي اختصم فيه بنو إسرائيل، فأمرهم الله تعالى أن يذبحوا بقرة فيضربوه ببعضها؛ ليخبرهم بمن قتله، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذۡ قَتَلۡتُمۡ نَفۡسٗا فَٱدَّٰرَٰٔتُمۡ فِيهَاۖ وَٱللَّهُ مُخۡرِجٞ مَّا كُنتُمۡ تَكۡتُمُونَ ٧٢ فَقُلۡنَا ٱضۡرِبُوهُ بِبَعۡضِهَاۚ كَذَٰلِكَ يُحۡيِ ٱللَّهُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمۡ تَعۡقِلُونَ ٧٣﴾. [سورة البقرة:٧٢-٧٣]

المثال الثالث: في قصة القوم الذين خرجوا من ديارهم فرارًا من الموت وهم ألوف؛ فأماتهم الله تعالى، ثم أحياهم وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ ۞ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُوا۟ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ ﴾. [سورة البقرة:٢٤٣]

المثال الرابع: في قصة الذي مرَّ على قرية ميِّتة، فاستبعد أن يحييها الله تعالى؛ فأماته الله تعالى مائة سنة، ثم أحياه، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ أَوْ كَٱلَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَـٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾ ﴾. [سورة البقرة:٢٥٩]

المثال الخامس: في قصة إبراهيم الخليل، حين سأل الله تعالى أن يريه كيف يحيي الموتى؛ فأمره الله تعالى أن يذبح أربعة من الطير، ويفرقهن أجزاء على الجبال التي حوله، ثم يناديهن؛ فتلتئم الأجزاء بعضها إلى بعض، ويأتين إلى إبراهيم سعيًا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّ أَرِنِى كَيْفَ تُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَـٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى ۖ قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا ۚ وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾ ﴾. [سورة البقرة:٢٦٠]

فهذه أمثلة حسِّيَّة واقعة، تدل على إمكان إحياء الموتى، وقد سبقت الإشارة إلى ما جعله الله تعالى من آيات عيسى بن مريم في إحياء الموتى، وإخراجهم من قبورهم بإذن الله تعالى.

وأما دلالة العقل: فمن وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى فاطر السموات، والأرض، وما فيهما، خالقهما ابتداء، والقادر على ابتداء الخلق، لا يعجز عن إعادته، قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾. [سورة الروم:٢٧]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَطْوِى ٱلسَّمَآءَ كَطَىِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ ۚ كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ ﴿١٠٤﴾﴾ [سورة الأنبياء:١٠٤] وقال آمرًا بالرد على من أنكر إحياء العظام وهي رميم: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾﴾. [سورة يس:٧٩]

الثاني: أن الأرض تكون ميتة هامدة، ليس فيها شجرة خضراء؛ فينزل عليها المطر؛ فتهتز خضراءَ حيةً، فيها من كل زوج بهيج، والقادر على إحيائها بعد موتها، قادر على إحياء الأموات، قال الله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾. [سورة فصلت:٣٩]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾. [سورة ق:٩-١١]

ويلتحق بالإيمان باليوم الآخر:

الإيمان بكل ما يكون بعد الموت مثل:

(أ) **فتنة القبر**: وهي سؤال الميت بعد دفنه عن ربه، ودينه، ونبيه؛ فيثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت، فيقول: ربي الله، وديني الإسلام، ونبيِّي محمد ﷺ، ويضلُ الله الظالمين فيقول الكافر: هاه، هاه، لا أدري، ويقول المنافق أو المرتاب (١): لا أدري سمعت الناس يقولون شيئاً فقلته.

(ب) **عذاب القبر ونعيمه**: فيكون للظالمين من المنافقين والكافرين، قال الله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ ۗ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ۖ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾﴾. [سورة الأنعام:٩٣]

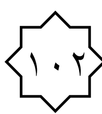
وقال تعالى في آل فرعون: ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾. [سورة غافر:٤٦]

وفي صحيح مسلم من حديث زيد بن ثابت عن النبي ﷺ قال: ((فلولا أن لا تدافنوا؛ لدعوتُ الله أن يسمعكم من عذاب القبر الذي أسمع منه، ثم أقبل بوجهه؛ فقال: تعوَّذوا بالله من عذاب النار)) قالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، فقال: ((تعوَّذوا بالله من عذاب القبر))، قالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، قال: ((تعوَّذوا بالله من الفتن، ما ظهر منها، وما بطن))، قالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها وما بطن، قال: ((تعوَّذوا بالله من فتنة الدجال)) قالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال. (٢)

وأما نعيم القبر؛ فللمؤمنين الصادقين قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ

(١) (أو) للشك من الراوي كما في الصحيحين .

(٢) أخرجه مسلم، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب: عرض مقعد الميت من الجنة أو النار عليه، و إثبات عذاب القبر، و التعوذ منه، رقم (٧١٤٢).



ٱسۡتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحۡزَنُواْ وَأَبۡشِرُواْ بِٱلۡجَنَّةِ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾﴾. [سورة فصلت:٣٠]

وقال تعالى: ﴿فَلَوۡلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلۡحُلۡقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمۡ حِينَئِذٖ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحۡنُ أَقۡرَبُ إِلَيۡهِ مِنكُمۡ وَلَٰكِن لَّا تُبۡصِرُونَ ﴿٨٥﴾ فَلَوۡلَآ إِن كُنتُمۡ غَيۡرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرۡجِعُونَهَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوۡحٞ وَرَيۡحَانٞ وَجَنَّتُ نَعِيمٖ ﴿٨٩﴾﴾. [سورة الواقعة:٨٣-٨٩]

وعن البراء بن عازب ﷺ أن النبي ﷺ قال في المؤمن إذا أجاب الملكين في قبره: ((ينادي منادٍ من السماء: أن صدق عبدي، فأفرشوه من الجنة، وألبسوه من الجنة، وافتحوا له باباً إلى الجنة، قال: فيأتيه من رَوحها وطِيبها، ويفسحُ له في قبره مدَّ بصره)). (١)

وقد ضلَّ قوم من أهل الزَّيغ فأنكروا عذاب القبر، ونعيمه، زاعمين أن ذلك غير ممكن لمخالفته الواقع، قالوا: فإنه لو كشف عن الميِّت في قبره؛ لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بِسِعَةٍ، ولا ضِيق.

وهذا الزعم باطل؛ بالشرع، والحس، و العقل:

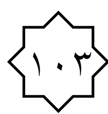
أما الشرع: فقد سبقت النصوص الدالة على ثبوت عذاب القبر، ونعيمه.

وفي صحيح البخاري - من حديث - ابن عباس ﷺ قال: (خرج النبي ﷺ من بعض حيطان المدينة؛ فسمع صوت إنسانين يُعَذبَانِ في قبورهما) وذكر الحديث، وفيه:) أن أحدهما كان لا يستتر من البول) وفي رواية: (من بوله)، وأن الآخر كان يمشي بالنميمة) وفي رواية لمسلم: (لا يستنزه من البول)). (٢)

وأما الحس: فإن النائم يرى في منامه أنه كان في مكان فسيح بهيج، يتنعم فيه، أو أنه كان في مكان ضيق موحش، يتألم منه، وربما يستيقظ أحياناً مما رأى، ومع ذلك فهو على فراشه في حجرته على ما هو عليه، والنوم أخو الموت، ولهذا سماه الله تعالى: (وفاة) قال الله

(١) أخرجه أحمد، كتاب حديث البراء بن عازب، رقم: (١٨٠٦٣)، وأبو داود، كتاب أول كتاب السنة، باب: المسألة في القبر وعذاب القبر، رقم: (٤٧٥٣).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: النميمة من الكبائر، رقم (٥٧٠٨)، ورواه مسلم، كتاب الطهارة، باب: الدليل على نجاسة البول ووجوب الاستبراء منه، رقم (٦٧٦) .



تعالى: ﴿ ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ ﴾. [سورة الزمر: ٤٢]

وأما العقل: فإن النائم في منامه يرى الرؤيا الحق المطابقة للواقع، وربما رأى النبي ﷺ على صفته، ومن رآه على صفته؛ فقد رآه حقًّا، ومع ذلك، فالنائم في حجرته على فراشه بعيدٌ عما رأى، فإذا كان هذا ممكنًا في أحوال الدنيا؛ أفلا يكون ممكنًا في أحوال الآخرة؟!

وأما اعتمادهم فيما زعموه على أنه لو كشف عن الميِّت في قبره؛ لوجد كما كان عليه، والقبر لم يتغير بسعة ولا ضيق؛ فجوابه من وجوه منها :

الأول: أنه لا تجوز معارضة ما جاء به الشرع، بمثل هذه الشبهات الداحضة التي لو تأمَّل المعارض بها ما جاء به الشرع حقَّ التأمل؛ لعلم بطلان هذه الشبهات، وقد قيل:

وكم من عائبٍ قولاً صحيحًا وآفته من الفَهمِ السقيمِ

الثاني: أن أحوال البرزخ من أمور الغيب التي لا يدركها الحسُّ، ولو كانت تدرك بالحس؛ لفاتت فائدة الإيمان بالغيب، ولتساوى المؤمنون بالغيب، و الجاحدون في التصديق بها.

الثالث: أن العذاب، والنعيم، وسعة القبر، وضيقه؛ إنما يدركها الميِّتُ دون غيره، وهذا كما يرى النائم في منامه أنه في مكان ضيِّق موحش، أو في مكان واسع بهيج، والذي حوله لا يرى ذلك ولا يشعر به، ولقد كان النبيُّ ﷺ يوحى إليه، وهو بين أصحابه؛ فيسمعُ الوحي، ولا يسمعهُ الصحابة، وربما يتمثَّل له الملك رجلاً فيكلِّمه، والصحابة لا يرونَ الملك، ولا يسمعونه.

الرابع: أن إدراك الخلق محدود بما مكنهم الله تعالى من إدراكه، ولا يمكن أن يدركوا كل موجود، فالسموات السَّبع، والأرض، ومن فيهن، وكل شيء يسبحُ بحمد الله تسبيحًا حقيقيًّا، يُسمعه الله تعالى من شاء من خلقه أحيانًا، ومع ذلك هو محجوب عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبْعُ وَٱلْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ ۚ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا

يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ ۗ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿٤٤﴾﴾. [سورة الإسراء:٤٤]، وهكذا الشياطين، والجن يسعون في الأرض ذهابـــًا وإيابـــًا، وقد حضرت الجن إلى رسول الله ﷺ واستمعوا لقراءته، وأنصتُوا، وولَّوا إلى قومهم منذرين، ومع هذا؛ فهم محجوبون عنا، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ ۗ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ۗ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾﴾. [سورة الأعراف:٢٧]، وإذا كان الخلق لا يدركون كل موجود؛ فإنه لا يجوز أن ينكروا ما ثبت من أمور الغيب، ولم يدركوه.

المبحث السادس

الإيمان بالقدر

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، جملةً وتفصيلاً.

المطلب الثاني: الإيمان بأنَّ الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ.

المطلب الثالث: الإيمان بأنَّ جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى.

المطلب الرابع: الإيمان بأنَّ جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالقدر.

الإيمان بالقدر:

القَدَر (بفتح الدال): تقدير الله تعالى للكائنات، حسبما سبق به علمه، واقتضتهُ حكمته.

والإيمان بالقدر يتضمَّنُ خمسة مطالب:

المطلب الأول: الإيمان بأنَّ الله تعالى عالمٌ بكل شيء، جملةً وتفصيلاً، أزلاً وأبدًا، سواء كان ذلك مما يتعلق بأفعالـه، أو بأفعال عباده.

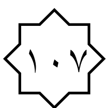
المطلب الثاني: الإيمان بأنَّ الله تعالى كتب ذلك في اللوح المحفوظ، وفي هذين الأمرين يقـول الله تعـالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾﴾. [سورة الحج:٧٠]

وفي صحيح مسلم – عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: سمعت رسـول الله ﷺ يقول: ((كتب الله مقادير الخلائقِ قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألـف سنة)). [(١)]

المطلب الثالث: الإيمان بأنَّ جميع الكائنات لا تكون إلا بمشيئة الله تعالى، سواء أكانت مما يتعلق بفعله، أم مما يتعلق بفعل المخلوقين، قال الله تعالى فيما يتعلقُ بفعله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾. [سورة القصص:٦٨]، وقـال: ﴿ يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَيُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۚ وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾. [سـورة إبراهيم:٢٧] ﴿وَيَفْعَلُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ ﴿٢٧﴾﴾. [سورة إبراهيم:٢٧]، وقـال: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمْ فِى ٱلْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَآءُ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٦﴾﴾. [سورة آل عمران:٦] وقـال تعـالى فيما يتعلـق بفعل المخلوقين: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَٰتَلُوكُمْ ۚ﴾. وقال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾﴾. [سورة الأنعام:١١٢]

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب القدر، باب: حجاج آدم وموسى عليهما السلام، رقم (٦٦٩٠).



المطلب الرابع: الإيمان بأنَّ جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى بذواتها، وصفاتها، وحركاتها، قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ وَكِيلٞ ٦٢﴾. [سورة الزمر:٦٢]، وقال سبحانه: ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖ فَقَدَّرَهُۥ تَقۡدِيرٗا ٢﴾. [سورة الفرقان:٢]، وقال عن نبيِّه إبراهيم عليه الصلاة والسلام أنه قال لقومه: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمۡ وَمَا تَعۡمَلُونَ ٩٦﴾. [سورة الصافات:٩٦]

والإيمان بالقدر – على ما وصفنا – لا ينافي أن يكون للعبد مشيئة في أفعاله الاختيارية، وقدرة عليها؛ لأن الشرع والواقع دالان على إثبات ذلك له.

أما الشرع: فقد قال الله تعالى في المشيئة: ﴿فَمَن شَآءَ ٱتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ مَـَٔابًا ٣٩﴾. [سورة النبأ:٣٩]، وقال في القدرة: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾. [سورة التغابن:١٦]، وقال: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡ﴾. [سورة البقرة:٢٨٦]

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلم أن له مشيئة وقدرة، بهما يفعل، وبهما يترك، ويفرق بين ما يقع بإرادته كالمشي، وما يقع بغير إرادته كالارتعاش، لكنَّ مشيئة العبد، وقدرته واقعتان بمشيئة الله تعالى، وقدرته لقول الله تعالى: ﴿لِمَن شَآءَ مِنكُمۡ أَن يَسۡتَقِيمَ ٢٨ وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٩﴾. [سورة التكوير:٢٨-٢٩]، ولأن الكون كله ملك لله تعالى؛ فلا يكون في ملكه شيء بدون علمه ومشيئته.

والإيمان بالقدر – على ما وصفنا – لا يمنح العبد حجة على ما ترك من الواجبات، أو فعل من المعاصي، وعلى هذا؛ فاحتجاجه به باطل من وجوه:

الأول: قوله تعالى: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ لَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشۡرَكۡنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمۡنَا مِن شَيۡءٖۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ حَتَّىٰ ذَاقُواْ بَأۡسَنَاۗ قُلۡ هَلۡ عِندَكُم مِّنۡ عِلۡمٖ فَتُخۡرِجُوهُ لَنَآۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَخۡرُصُونَ ١٤٨﴾. [سورة الأنعام:١٤٨]، ولو كان لهم حجة بالقدر؛ ما أذاقهم الله بأسه.

الثاني: قوله تعالى: ﴿ رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾ ﴾. [سورة النساء:١٦٥]، ولو كان القدر حجة للمخالفين؛ لم تنتفِ بإرسال الرسل؛ لأن المخالفة بعد إرسالهم واقعة بقدر الله تعالى.

الثالث: ما رواه البخاري ومسلم - واللفظ للبخاري - عن علي بن أبي طالب ﷺ أن النبي ﷺ قال:((**مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا قَدْ كُتِبَ مَقْعَدُهُ مِنَ النَّارِ أَوْ مِنَ الْجَنَّةِ**)) فقال رجل من القوم: ألا نتَّكِلُ يا رسول الله؟ قال: ((**لا اعْمَلُوا فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ ثُمَّ قَرَأَ**: ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ﴿٥﴾ ﴾. [سورة الليل:٥]، وفي لفظ لمسلم: ((**فَكُلٌّ مُيَسَّرٌ لما خُلِقَ لَه**)). [1] فأمر النبي ﷺ بالعمل، ونهى عن الاتكال على القدر.

الرابع: أن الله تعالى أمر العبد ونهاه، و لم يكلفه إلا ما يستطيع، قال الله تعالى: ﴿ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ ﴾. [سورة التغابن:١٦]، وقال: ﴿ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ ﴾. [سورة البقرة:٢٨٦]، ولو كان العبد مجبرًا على الفعل؛ لكان مكلَّفًا بما لا يستطيع الخلاص منه، وهذا باطل؛ ولذلك إذا وقعت منه المعصية بجهل، أو نسيان، أو إكراه؛ فلا إثم عليه؛ لأنه معذور.

الخامس: أن قدر الله تعالى سرٌّ مكتومٌ لا يُعْلَمُ به إلا بعد وقوع المقدور، وإرادة العبد لما يفعله سابقة على فعله؛ فتكون إرادته الفعل غير مبنيَّةٍ على علم منه بقدر الله، وحينئذ تنتفي حجته بالقدر؛ إذ لا حجة للمرء فيما لا يعلمه.

السادس: أننا نرى الإنسان يحرص على ما يلائمه من أمور دنياه؛ حتى يدركه، ولا يعدل عنه إلى ما لا يلائمه، ثم يحتجُّ على عدوله بالقدر؛ فلماذا يعدل عما ينفعه في أمور دينه إلى ما يضره ثم يحتجُّ بالقدر؟ أفليس شأن الأمرين واحدًا؟!

وإليك مثالاً يوضح ذلك:

لو كان بين يدي الإنسان طريقان: أحدهما: ينتهي به إلى بلد كلها فوضى: قتل، ونهب،

(١) أخرجه البخاري، كتاب التفسير، باب: فسنيسره لليسرى رقم: (٤٦٦٣)، ورواه مسلم، كتاب القدر، باب: كيفية خلق الآدمي وكتابة أجله، رقم: (٦٦٧٥).

وانتهاك للأعراض، وخوف، وجوع.

والثاني: ينتهي به إلى بلد كلها نظام، وأمن مستتب، وعيش رغيد، واحترام للنفوس والأعراض و الأموال، فأي الطريقين يسلك؟

إنه سيسلك الطريق الثاني الذي ينتهي به إلى بلد النظام و الأمن، و لا يمكن لأي عاقل أبدًا أن يسلك طريقَ بلدِ الفوضى، والخوف، ويحتجُّ بالقدر، فلماذا يسلك في أمر الآخرة طريق النار دون الجنة ويحتجُّ بالقدر؟

ومثالاً آخر: نرى المريض يؤمر بالدواء؛ فيشربه، ونفسه لا تشتهيه، وينهى عن الطعام الذي يضرُّه؛ فيتركه، ونفسه تشتهيه، كل ذلك؛ طلبـًا للشفاء والسلامة، ولا يمكن أن يمتنع عن شرب الدواء، أو يأكل الطعام الذي يضره، ويحتجُّ بالقدر، فلماذا يترك الإنسان ما أمر الله به ورسوله أو يفعلُ ما نهى الله عنه ورسوله ثم يحتجُّ بالقدر؟

السابع: أن المحتجَّ بالقدر على ما تركه من الواجبات، أو فعله من المعاصي، لو اعتدى عليه شخص فأخذ ماله، أو انتهك حرمته، ثم احتجَّ بالقدر، وقال: لا تلمني فإنَّ اعتدائي كان بقدر الله؛ لم يقبل حجته، فكيف لا يقبل الاحتجاج بالقدر في اعتداء غيره عليه، ويحتج به لنفسه في اعتدائه على حق الله تعالى؟!

ويُذْكَرُ أن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ رُفِعَ إليه سارقٌ استحق القطع؛ فأمر بقطع يده فقال: مهلاً يا أمير المؤمنين، فإنما سرقت بقدر الله؛ فقال عمر: ونحن إنما نقطعُ بقدر الله.

المطلب الخامس: ثمرات الإيمان بالقدر:

وللإيمان بالقدر ثمرات جليلة منها:

الأولى: الاعتماد على الله تعالى، عند فعل الأسباب، بحيث لا يعتمدُ على السبب نفسه؛ لأن كل شيء بقدر الله تعالى.

الثانية: أن لا يُعْجَب المرء بنفسه عند حصول مراده؛ لأن حصوله نعمة من الله تعالى، بما قَدَّره من أسباب الخير، والنجاح، وإعجابه بنفسه، ينسيه شكر هذه النعمة.

الثالثة: الطمأنينة، والراحة النفسية بما يجزى عليه من أقدار الله تعالى؛ فلا يقلقُ بفوات محبوب، أو حصول مكروه؛ لأن ذلك بقدر الله الذي له ملك السموات والأرض، وهو

كائن لا محالة، وفي ذلك يقول الله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٖ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ أَن نَّبۡرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ ﴿٢٢﴾ لِّكَيۡلَا تَأۡسَوۡاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمۡ وَلَا تَفۡرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمۡۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾﴾. [سورة الحديد:٢٢-٢٣]، ويقول النبي ﷺ: ((عجباً لأمر المؤمن إنّ أمره كلَّه خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سرَّاءُ شكر؛ فكان خيرًا له، وإن أصابته ضرَّاءُ صبر؛ فكان خيرًا له)). (١)

وقد ضلَّ في القدر طائفتان:

إحداهما: **الجبرية** الذين قالوا إنَّ العبد مجبر على عمله، وليس له فيه إرادة ولا قدرة.

الثانية: **القدرية** الذين قالوا: إنَّ العبد مستقل بعلمه في الإرادة، والقدرة، وليس لمشيئة الله تعالى، وقدرته فيه أثر.

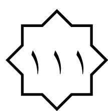
والرد على الطائفة الأولى (الجبرية) بالشرع والواقع:

أما الشرع: فإن الله تعالى أثبت للعبد إرادة ومشيئة، وأضاف العمل إليه، قال الله تعالى: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنۡيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۚ﴾. [سورة آل عمران:١٥٢]، وقال تعالى: ﴿وَقُلِ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكُمۡۖ فَمَن شَآءَ فَلۡيُؤۡمِن وَمَن شَآءَ فَلۡيَكۡفُرۡۚ إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَۚ بِئۡسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتۡ مُرۡتَفَقًا ﴿٢٩﴾﴾. [سورة الكهف:٢٩]، قال تعالى: ﴿مَّنۡ عَمِلَ صَٰلِحٗا فَلِنَفۡسِهِۦۖ وَمَنۡ أَسَآءَ فَعَلَيۡهَاۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾. [سورة فصلت:٤٦]

وأما الواقع: فإن كل إنسان يعلمُ الفرق بين أفعاله الاختيارية التي يفعلها بإرادته: كالأكل، والشرب، والبيع، والشراء، وبين ما يقعُ عليه بغير إرادته: كالارتعاش من الحمى، والسقوط من السطح، فهو في الأول فاعل مختار بإرادته من غير جبر، وفي الثاني غير مختار، ولا مريد لما وقع عليه.

---

(١) أخرجه مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب: المؤمن أمره كله خير، رقم (٧٤٢٥).



والرد على الطائفة الثانية (القدرية) بالشرع والعقل:

أما الشرع: فإن الله تعالى خالق كل شيء، وكل شيء كائن بمشيئته، وقد بيَّن الله تعالى في كتابه أن أفعال العباد تقع بمشيئته فقال تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلَ ٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ وَلَٰكِنِ ٱخْتَلَفُوا۟ فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ وَمِنْهُم مَّن كَفَرَ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا ٱقْتَتَلُوا۟ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾﴾. [سورة البقرة:٢٥٣]، وقال تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَءَاتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَىٰهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ مِنِّى لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾﴾. [سورة السجدة:١٣]

وأما العقل: فإن الكون كُلَّه مملوكٌ لله تعالى، والإنسان من هذا الكون؛ فهو مملوك لله تعالى، ولا يمكن للمملوك أن يتصرف في ملك المالك إلا بإذنه ومشيئته.

الفصل الرابع: نواقض الإيمان وضوابط التكفير.

وفيه مبحثان

المبحث الأول: نواقض الإيمان.

المبحث الثاني: ضوابط التكفير.

المبحث الأول
نواقض الإيمان

وفيه مطلبان:

المطلب الأول: تعريف الناقض في اللغة والاصطلاح.

المطلب الثاني: نواقض الإيمان.

نواقض الإيمان:

إنَّ معرفة نواقض الإيمان مهمة جداً للمسلم لكي يكون على حذرٍ منها، ولكي ينبه غيره من الوقوع فيها، وقبل ذكر النواقض يحسن بنا أن نعرف الناقض في اللغة والاصطلاح.

المطلب الأول: تعريف الناقض:

الناقض في اللغة:

النَّقْضُ: إِفْسادُ ما أَبْرَمْتَ من عَقْدٍ أَو بِناء، وفي الصحاح: النَّقْضُ نَقْضُ البِناء والحَبْلِ والعَهْدِ. غيره: النقْضُ ضِدُّ الإِبْرام، نقَضَه يَنْقُضُه نَقْضاً وانْتَقَضَ وتَناقَضَ. والنَّقْضُ: اسمُ البِناء الـمَنْقُوضِ إِذا هُدم. (١)

فهو بمعنى ناكث الشيء، ومنشر العقد. والنقض ضد الإبرام. ونقيضك؛ الذي يخالفك. قال تعالى: ﴿ وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ ٱللَّهِ إِذَا عَٰهَدتُّمْ وَلَا تَنقُضُواْ ٱلْأَيْمَٰنَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ ٱللَّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ ﴾. [سورة النحل:٩١]، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ ٱلْمِيثَٰقَ ﴿٢٠﴾ ﴾. [سورة الرعد:٢٠]

الناقض في الاصطلاح:

هو الاعتقاد والقول والفعل المكفر؛ الذي ينتفي به إيمان العبد ويزول، ويخرجه من دائرة الإسلام والإيمان إلى حظيرة الكفر، والعياذ بالله.

وفي المصطلح الفقهي عند الفقهاء؛ يطلق اسم المرتد على الذي ينقض إيمانه بهذه المكفرات الثلاث.

(١) ينظر: لسان العرب، ٢٤٢/٧.

المطلب الثاني: نواقض الإيمان:

وهي في الجملة منها نواقض اعتقادية، ونواقض قولية، ونواقض عملية ولا تكون إلا بدليل من الكتاب أو السنة. ومنها:

١ ــ الشرك في عبادة الله:

قال تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ ﴾. [سورة النساء:١١٦]

فمن الشرك بالله دعاء غير الله والاستغاثة به وطلب المدد والعون منه، والذبح له والنذر له، وتعظيمه كتعظيم رب العالمين، والسجود عند أعتاب القبور، واعتقاد أنَّ غير الله يملك نفعًا أو ضرًا ونحو ذلك من أمور الشرك التي يقع فيها بعض المسلمين اليوم.

بعض مظاهر الشرك: (١)

١-الاعتقاد بأن للكون أقطاب يتصرفون فيه.

٢-الاعتقاد بأنَّ أرواح الأولياء الصالحين تتصرف في العباد وأحوالهم بعد الموت. وأنهم يملكون للخلق نفعًا أو ضرًا.

٣-الخوف من الجن والرهبة منهم في ما لا يقدر عليه إلا الله.

٤-طاعة المشايخ من الصوفية وغيرهم في معصية الله مع اعتقاد ذلك حق وهو ما كان في بني إسرائيل. قال تعالى عن بني إسرائيل: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَمَآ أُمِرُوٓا۟ إِلَّا لِيَعْبُدُوٓا۟ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾ ﴾. [سورة التوبة:٣١]

٥-دعاء غير الله والاستغاثة به؛ لأنَّ في الدعاء والاستغاثة طلب نفع ورفع ضر وهذا من خصائص الربوبية.

٦-من جعل بينه وبين الله وسائط من يدعوهم ويسألهم الشفاعة، كفر إجماعاً.

---

(١) ينظر: عقيدة المؤمن لأبي بكر الجزائري ص٦٥.

٢- الشك: **وهو التردد بين التصديق والتكذيب، ولا يصلح إيمان العبد إلا بتصديق تام.**

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَسْتَـْٔذِنُكَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱرْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِى رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾﴾. [سورة التوبة:٤٥]

وعن أبي هُرَيْرَةَ قال: قال رسول اللَّهِ ﷺ: ((**أَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلا اللَّهُ وَأَنِّي رَسُولُ اللَّهِ لا يَلْقَى اللَّهَ بِهِمَا عَبْدٌ غَيْرَ شَاكٍّ فَيُحْجَبَ عَنْ الْجَنَّةِ**)). [متفق عليه]

والشك في حرف من القرآن فما فوق كفر يخرج من الملة، وكذلك الشك في نبوة نبي ثبتت نبوته بالكتاب أو السنة، وكذلك الشك في أحد أركان الإسلام الصلاة أو الزكاة أو الصيام أو الحج ونحو ذلك.

٣- الجحود: **وهو الإنكار مع العلم. فهو تكذيب باللسان مع تصديق بالقلب.**

قال تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾. [سورة الأنعام:٣٣] وقال سبحانه عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾. [سورة النمل:١٤] فمن علم شيئًا من الدين وصح علمه عنده ثم جحده فهو كافر.

وللجحود أنواع: قال ابن القيم رحمه الله:**وكفر الجحود نوعان:**

كفرٌ مطلقٌ عام، وكفرٌ مقيدٌ خاص:

فالمطلق: أن يجحد جملة ما أنزله الله وإرساله الرسول.

والخاص المقيد: أن يجحد فرضا من فروض الإسلام، أو تحريم محرم من محرماته، أو صفة وصف الله بها نفسه، أو خبراً أخبر الله به عمداً، أو تقديماً لقول من خالفه عليه لغرض من الأغراض. أ.هـ

وللجحود أسباب منها: الاستكبار، والحسد، والبغض والكراهية وغير ذلك.

ويترتب عليه آثار منها: التكذيب، والسب، والاستهزاء، والاستحلال، والتشكيك في دين

الله، والإعراض عن دين الله، وافتراء الكذب وغير ذلك. (١)

٤- الإعراض عن دين الله تعالى:

وهو لغة التولي.

واصطلاحاً هو: التولي عن تعلم أصل الدين الذي يكون به مسلمًا، أو يخرج به من عقيدة كفرية أو فعل كفر.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾. [سورة السجدة:٢٢]

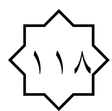
قال ابن القيم: وأما كفر الإعراض: فأن يعرض بسمعه وقلبه عن الرسول لا يصدقه ولا يكذبه ولا يواليه ولا يعاديه ولا يصغي إلى ما جاء به البتة، كما قال أحد بني عبد ياليل للنبي ﷺ: والله أقول لك كلمة إن كنت صادقًا فأنت أجل في عيني من أن أرد عليك، وإن كنت كاذبا فأنت أحقر من أن أكلمك. أ.هـ (٢)

٥- الاستهزاء والسخرية بالله، أو آياته، أو رسول من رسله:

وهذا كفر بنص الكتاب والسنة وإجماع المسلمين، وهو بالقول كمن يتكلم بكلام على الإسلام فيه تهكم وتنقص ليضحك الآخرين، أو يقصد به سب الإسلام. وبالفعل كمن يرمي بالمصحف في طريقة تنقص منه، أو يؤدي حركات الصلاة منتقصاً منها ونحو ذلك؛ قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَـٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾. [سورة التوبة:٦٥] وقال تعالى: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِى ٱلْكِتَـٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ جَامِعُ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱلْكَـٰفِرِينَ فِى جَهَنَّمَ جَمِيعًا

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، ٣٣٧/١.

(٢) ينظر: المرجع السابق، ٣٣٧/١.



﴿١٤٠﴾. [سورة النساء: ١٤٠]

ونقل الإمام القرطبي في تفسيره عن القاضي أبو بكر بن العربي رحمهما الله وهو يشرح موقف المستهزئين في غزوة تبوك قوله: لا يخلو أن يكون ما قالوه من ذلك جدًا أو هزلاً، وهو كيفما كان كفر فإن الهزل بالكفر كفر لا خلاف فيه بين الأمة، فإن التحقيق أخو العلم والحق والهزل أخو الباطل والجهل. أ.هـ (١)

٦- سب الله عز وجل، أو رسول من رسوله، أو سب دين الله:

قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾﴾. [سورة الأحزاب:٥٧] وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾﴾. [سورة التوبة:٦١]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "وقال الإمام إسحاق بن راهوية أحد الأئمة الأعلام: أجمع المسلمون على أنَّ من سبَّ الله أو سبَّ رسوله أو دفع شيئاً مما أنزل الله عز وجل أو قتل نبياً من أنبياء الله عز وجل أنَّه كافر بذلك وإن كان مقرًا بكل ما أنزل الله. (٢)

وقال الخطابي: "لا أعلم أحدًا من المسلمين اختلف في وجوب قتله".

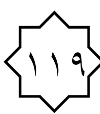
وقال محمد بن سحنون: "أجمع العلماء على أنَّ شاتم النبي ﷺ المتنقص له كافر، والوعيد جار عليه بعذاب الله له، وحكمه عند الأمة القتل، ومن شك في كفره وعذابه كفر. أ.هـ

٧- الاستكبار على الله وشرعه:

وهو عدم الاعتراف بما جاء به الرسول ﷺ من عند ربه كبرًا، أو عدم الخضوع لطاعة الله كبرًا. قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ

(١) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي، ١٩٧/٨.

(٢) ينظر: الصارم المسلول على شاتم الرسول لشيخ الإسلام ابن تيمية، ص١٥.



مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾. [سورة البقرة:٣٤] وقال تعالى على لسان نوح: ﴿وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓاْ أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْاْ ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّواْ وَٱسْتَكْبَرُواْ ٱسْتِكْبَارًا ﴿٧﴾﴾. [سورة نوح:٧] وقال تعالى عن المشركين: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾﴾. [سورة الصافات:٣٥]

قال شيخ الإسلام ابن تيمية: "ومن استكبر عن عبادة الله فلم يستسلم له فهو معطل لعبادته وهو شر من المشركين كفرعون وغيره قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾. [سورة غافر:٦٠]." أ.هـ (١)

وقال ابن القيم: "وأما كفر الإباء والاستكبار: فنحو كفر إبليس فإنَّه لم يجحد أمر الله ولا قابله بالإنكار؛ وإنما تلقاه بالإباء والاستكبار، ومن هذا كفر من عرف صدق الرسول وأنَّه جاء بالحق من عند الله ولم ينقد له إباء واستكبارا وهو الغالب على كفر أعداء الرسل كما حكى الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَقَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَٰبِدُونَ ﴿٤٧﴾﴾. [سورة المؤمنون:٤٧] وقوله: ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ﴿١١﴾﴾. [سورة الشمس:١١] وهو كفر اليهود كما قال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُواْ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُواْ كَفَرُواْ بِهِۦۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾ [سورة البقرة:٨٩] وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْۖ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾﴾. [سورة البقرة:١٤٦] وهو كفر أبي طالب أيضا؛ فإنه صدقه ولم يشك في صدقه ولكن أخذته الحمية، وتعظيم آبائه أن يرغب عن ملتهم ويشهد عليهم بالكفر. أ. هـ (٢)

(١) ينظر: العقيدة الصفدية لشيخ الإسلام ابن تيمية، ٢/٣١٤.

(٢) ينظر: مدارج السالكين، لابن القيم الجوزية، ١/٣٣٧.

٨- التكذيب: وهو تكذيب الرسل فيما جاءوا به من عند ربهم، أو تكذيب شئ من شرع الله. كأن يعمد إلى آية من كتاب الله ويقول: ليست هذه من القرآن. ونحو ذلك قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ ۗ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢١﴾﴾. [سورة الأنعام:٢١] وقال تعالى: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾﴾. [سورة الزمر:٥٩-٦٠]

قال ابن القيم: "فأمَّا كفر التكذيب: فهو اعتقاد كذب الرسل، وهذا القسم قليل في الكفار؛ فإنَّ الله تعالى أيَّد رسله، وأعطاهم من البراهين والآيات على صدقهم ما أقام به الحجة، وأزال به المعذرة قال الله تعالى عن فرعون وقومه: ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾﴾. [سورة النمل:١٤] وقال لرسوله ﷺ: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِي يَقُولُونَ ۖ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾﴾. [سورة الأنعام:٣٣] وإن سمي هذا كفر تكذيب أيضا فصحيح إذ هو تكذيب باللسان. أ.هـ (١)

والتكذيب نوعان: تكذيب القلب، وهو ما عناه ابن القيم.

والنوع الثاني: تكذيب اللسان مع علم القلب، وهذا هو الجحود.

٨- العرافة والكهانة:

الكاهن: هو الذي يدعي المعرفة عن الكوائن في مستقبل الزمان، ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب فيصيب بعضها ويخطئ في أكثرها، وذلك عن طريق الجن وغيره.

والعرَّاف: هو الذي يدعي علم ما مضى، كمعرفة السارق ومكان السرقة، واسم من يأتيه ومكانه، وذلك من خلال اتصاله بالجن.

---

(١) ينظر: مدارج السالكين لابن القيم الجوزية، ٣٣٧/١.

قال الحافظ ابن حجر: "والكهانة ــ بفتح الكاف ويجوز كسرها ــ ادعاء علم الغيب كالإخبار بما سيقع في الأرض مع الاستناد إلى سبب.

والأصل فيه: استراق الجني السمع من كلام الملائكة فيلقيه في أذن الكاهن.

والكاهن لفظ يطلق على العراف، والذي يضرب بالحصى، والمنجم ويطلق على من يقوم بأمر آخر ويسعى في قضاء حوائجه، وقال في "المحكم": الكاهن القاضي بالغيب.

روى أحمد عن أبي هُرَيْرَة وَالحَسن عن النَّبِيِّ ﷺ قال: ((**مَنْ أَتَى كَاهِنًا أَوْ عَرَّافًا فَصَدَّقَهُ بِمَا يَقُولُ فَقَدْ كَفَرَ بِمَا أُنْزِلَ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ**)). [١]

وروى مسلم عن بعض أَزواج النَّبِيِّ ﷺ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ قال: ((**مَنْ أَتَى عَرَّافًا فَسَأَلَهُ عَنْ شَيْءٍ لَمْ تُقْبَلْ لَهُ صَلاةٌ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً**)). [٢]

٩- السحر: [٣]

معناه في اللغة: ما لطف وخفي سببه.

وأما حقيقته والمقصد منه هنا كما قال ابن مفلح في: "السحر: عقد ورقي وكلام يتكلم به، أو يعمل شيئا، يؤثر في بدن المسحور أو قلبه أو عقله من غير مباشرة له.

وله حقيقة في قول الأكثر، فمنه ما يقتل، ومنه ما يمرض، ومنه ما يمنع الرجل من وطء امرأته، ومنه ما يفرق بينهما". أ.هـ [٤]

وأكثر السحرة يستعينون بالجن في إنفاذ سحرهم ويستعملون الطلاسم التي تؤدي بفعلها إلى الشرك بالله.

وهو أنواع:

١- سحر الصرف: وهو التفريق بين اثنين فأكثر.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند، (٩١٧١)؛ وأبوداود في سننه (٣٤٠٥)؛ والترمذي في سننه (١٢٥)؛ وابن ماجة (٦٣١) وصححه الألباني.

(٢) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، (٤١٣٧).

(٣) ينظر: في هذا الأمر كتاب (عالم السحر والشعوذة) لعمر سليمان الأشقر فإنه فريد في بابه.

(٤) ينظر: المبدع لابن مفلح ١٨٨/٩.

٢- سحر العطف: وهو الجمع بين اثنين فأكثر.

٣- سحر التخييل: كما فعل سحرة فرعون قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ أَلْقُوا ۖ فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِن سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَىٰ ﴿٦٦﴾﴾. [سورة طه:٦٦]

وسحر تخيل فعل الشئ و لم يفعل كم فعل لبيد ابن الأعصم اليهودي في النبي ﷺ حيث كان يخيل له أنه يأتي أهل و لم يفعل حتى نزل جبريل عليه السلام ورقاه بالمعوذتين.

وحكم الساحر الكفر، ومن يصدقه كافر.

قال تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُو الشَّيَاطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَانَ ۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيْمَانُ وَلَٰكِنَّ الشَّيَاطِينَ كَفَرُوا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكَيْنِ بِبَابِلَ هَارُوتَ وَمَارُوتَ ۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ ۚ وَمَا هُم بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ ۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ ۚ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلَاقٍ ۚ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾﴾. [سورة البقرة:١٠٢]

١٠- استحلال ما حرم الله ورسوله، أو تحريم ما أحله الله ورسوله.

وهو أن يعتقد المسلم شئ مما حرمه اله حلالا، كمن يعتقد أن الخمر حلال، أو الزنا حلال ونحو ذلك.

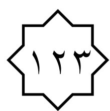
قال الشوكاني: "ومن استحل ما هو حرام كفر بالإجماع". أ.هـ (١)

وقال ابن حزم: "فمن أحل ما حرم الله تعالى وهو عالم بأن الله تعالى حرمه فهو كافر بذلك الفعل نفسه، وكل من حرم ما أحل الله تعالى فقد أحل ما حرم الله عز وجل لأن الله تعالى حرم على الناس أن يحرموا ما أحل الله". أ.هـ (٢)

---

(١) ينظر: نيل الأوطار للشوكاني، ٧٢/٩.

(٢) ينظر: الفصل في الملل، لان حزم الظاهري، ١١٤/٣



١١- عدم تكفير المشركين الأصليين، أو الشك في كفرهم، أو تصحيح مذهبهم:

وهم كل من دان بغير الإسلام، من اليهود والنصارى والمجوس والوثنيين وغيرهم من ملل الكفر.

وهذا كفر بإجماع المسلمين، ومن لم يكفر الكافر فهو كافر. وذلك لأن الله تعالى حكم بكفر هؤلاء فقال تعالى: ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْأَخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾. [سورة آل عمران:٨٥]، وقال تعالى: ﴿ لَّقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ أَن يُهْلِكَ ٱلْمَسِيحَ ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ۗ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ ﴾. [سورة المائدة:١٧]

١٢- موالاة المشركين، ونصرتهم على المسلمين:

قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوا۟ ٱلْكَٰفِرِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۚ أَتُرِيدُونَ أَن تَجْعَلُوا۟ لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٤٤﴾ ﴾. [سورة النساء:١٤٤] وقال تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ ٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْكُفْرَ عَلَى ٱلْإِيمَٰنِ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾. [سورة التوبة:٢٣]

وقال تعالى: ﴿ لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ ۖ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ ۚ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾. [سورة المجادلة:٢٢]

١٣- النفاق الاعتقادي:

ومعناه: إظهار الإسلام وإبطان الكفر والشرك بالله.

قال تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾. [سورة البقرة:٨-٩]

وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَهُوَ خَٰدِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوٓا۟ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ قَامُوا۟ كُسَالَىٰ يُرَآءُونَ ٱلنَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾﴾. [سورة النساء:١٤٢]

وهذا النفاق أنواع منها:

أ- تكذيب الرسول ﷺ فيما جاء به من عند ربه، أو تكذيب بعضه.

ب- بغض الرسول ﷺ، أو بغض بعض ما جاء به.

ج- المسرة بانخفاض دين الإسلام.

د- الكراهية لانتصار دين الإسلام، ومحبة نصرة الكفار على المسلمين.

١٤- من اعتقد أن غير هدى النَّبِيِّ ﷺ أكمل من هديه أو أن حكم غيره أحسن من حكمه؛ كالَّذِيْنَ يُفَضِّلُوْنَ حُكْمَ الطَّاغُوْت والأَنْظِمَة الوضعية على حكمه ﷺ كاعتقاد العلمانيين أن شرع الله لا ينفع في هذا العصر، وأن القوانين الوضعية أفضل من شرع الله، أو مثله، أو يجوز الحكم بها والتحاكم إليها. فهو كافر.

١٥- من اعتقد أن بعض النَّاس لا يجب عليه اتباعه ﷺ وأنه يسعه الخروج من شريعته، كاعتقاد بعض المتصوفة أن الإنسان يسعه الخروج عن شريعة محمد ﷺ كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى ﷺ فهو كافر.

ولا فرق في هذه النَّوَاقِض بين الهازل والجاد، والخائف إلاَّ المكره، وكلها من أعظم ما يكون خطراً، ومن أكثر ما يكون وقوعاً، فينبغي للمسلمة أنْ تحذرها، وتخاف منها على نفسها نعوذ بالله من موجبات غضبه.

المبحث الثاني
ضوابط التكفير

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: خطورة التكفير .

المطلب الثاني: لماذا نعرف ضوابط التكفير .

المطلب الثالث: ما يترتب على التكفير من أحكام.

المطلب الرابع: ضوابط التكفير .

ضوابط التكفير:

قبل بيان ضوابط التكفير عند أهل السنة يجمل بنا بيان خطورة التكفير، لأهمية بيان ذلك؛ حيث أنَّ أمر التكفير أمرٌ خطير. وتتبين لنا خطورة التكفير فيما يلي:

المطلب الأول: خطورة التكفير:

التكفير حكمٌ شرعي وحق محص لله تعالى، لا اعتبار فيه لعقل ولا لذوق، وإنما لا يكفر إلا من كفَّره الله أو كفَّره رسوله، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "فلهذا كان أعل العلم والسُّنَّة لا يكفرون من خالفهم، وإن كان ذلك المخالف يكفرهم؛ إذ الكفر حكمٌ شرعي، فليس للإنسان أن يعاقب بمثله، كمن كذب عليك ليس لك أن تكذب عليه؛ لأنَّ الكذب حرام لحق الله تعالى، وكذلك التكفير حق لله، فلا يكفر إلا من كفَّره الله ورسوله".(١)

والمسلم إذا تلبس بشيء من مظاهر الشرك لا يلزم أن نحكم عليه بالشرك، بل قد يكون معذوراً، فلا يحكم بردته حتى تتحقق فيه شروط التكفير وتنتفي موانعه، فلا تلازم بين تلبسه بذلك الفعل وبين الحكم عليه بالردة .

المطلب الثاني: لماذا نعرف ضوابط التكفير:

عندما بين علماء الإسلام نواقض الإيمان، والأسباب المخرجة من دائرة الإسلام كانوا يرمون من بيانهم هذا إلى ما يلي:

١- بيان حكم الله أولاً في القضايا والصور التي تعرضوا لها.

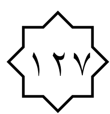
٢- بيان الحدود الدينية التي لا يجوز تجاوزها في حالة الاختيار بحيث لو تعداها المسلم فإنه يكون قد خرج من دينه.

٣- أرادوا في الوقت نفسه حماية العقيدة ودين الأمة من لعب اللاعبين وتهور المتهورين.

٤- تحذير الناس وتنبيههم من الوقوع في المكفرات التي يجهلون كثيراً منها، ولهذا نادى بعض الفقهاء بضرورة تعليم الناس وتعريفهم بصور وأسباب الردة التي قد يقعون فيها عن جهل.

---

(١) منهاج السنة النبوية لشيخ الإسلام ابن تيمية، بتصرفٍ يسير ٥/٢٤٤.



المطلب الثالث: ما يترتب على التكفير من أحكام:

وقد أجمع أهل السنة والجماعة على أن الشخص المكفر يترتب على كفره أحكام، منها:

١- عدم حل زوجته - المسلمة - له، وتحريم بقائها، وبقاء أولادها تحت سلطانه؛ لأن المرأة المسلمة لا يصح أن تكون زوجة لكافر بالإجماع.

٢- وجوب محاكمته أمام القضاء؛ لتنفيذ حد الردة عليه - وهو القتل - لأنه كفر بعد إسلامه، وذلك بعد استتابته وإقامة الحجة، وإزالة الشبه.

٣- أنه إذا مات على ردته وكفره؛ لا تجري عليه أحكام المسلمين؛ فلا يغسل، ولا يصلى عليه، ولا يدفن في مقابر المسلمين، ولا يورث، كما أنه لا يرث إذا مات له موروث قبله.

٤- أنه إذا مات على الكفر؛ وجبت عليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، والخلود الأبدي في النار - والعياذ بالله - ولا يدعى له بالرحمة، ولا يستغفر له.

المطلب الرابع: ضوابط التكفير:

١- الأصل في المسلم العدالة:

من ضوابط التكفير أنَّ الأصل في المسلم الظاهر العدالة، بقاء إسلامه، وبقاء عدالته حتى يتحقق زوال ذلك عنه بمقتضى دليل شرعي، فقد اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على هذا الضابط؛ فكانوا أعظم الناس ورعاً؛ لأنَّ تكفير المسلم مسألة خطيرة، يجب عدم الخوض فيها دون دليل وبرهان، وقد حذر النبي ﷺ أن يكفر أحد أحداً دون برهان فقال: ((**إذا كَفَّرَ الرجلُ أخاه فقد بَاءَ بها أحدُهما**)). (١)

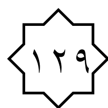
وهذا أمرٌ عظيم عند أهل السنة في الحكم على الناس، فلا تكون أحكامهم مبنية على ظنون وأوهام أو دعاوي لا يملكون عليها بينات، وهذه من رحمة الله وتيسيره على عباده ومن باب تكليفهم بما يطيقون ويستطيعون، ومرادنا هنا الحكم الدنيوي على الشخص بالإسلام أو الكفر، أما الحكم على الحقيقة فلا سبيل إليه.

ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَتَبَيَّنُواْ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَعِندَ ٱللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾ ﴾. [سورة النساء:٩٤]

وقال الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب رحمه الله: "فالآية تدل على أنه يجب الكف عنه والتثبت، فإذا تبين منه بعد ذلك ما يخالف الإسلام قتل، لقوله تعالى: ﴿فَتَبَيَّنُواْ﴾ ... إلى أن يقول: وإن من أظهر التوحيد والإسلام وجب الكف عنه إلى أن يتبين منه ما يناقض ذلك".

قوله ﷺ: ((**أُمِرْتُ أَنْ أُقَاتِلَ النَّاسَ حَتَّى يَشْهَدُوا أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّه، وَيُقِيمُوا الصَّلاَةَ، وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ. فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ عَصَمُوا مِنِّى دِمَاءَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ**

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم: (١١١).



وَحِسَابُهُمْ عَلَى اللَّهِ)). (١)

وقال أيضاً: "وليس لأحد أن يكفر أحداً من المسلمين، وإن أخطأ وغلط؛ حتى تقام عليه الحجة، وتبين له المحجة، ومن ثبت إسلامه بيقين لم يزل ذلك عنه بشك؛ بل لا يزول إلا بعد إقامة الحجة، وإزالة الشبهة". (٢)

٢- الاحتياط في تكفير المعين:

أهل السنة والجماعة: يطلقون القول في التكفير، فيقولون: من قال كذا، أو فعل كذا؛ فهو كافر، وعندما يتعلق الأمر بالشخص المعين الذي قاله أو فعله، لا يحكمون على كفره إطلاقاً؛ حتى تجتمع فيه الشروط، وتنتفي عنه الموانع، فعندئذ تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها، وهذه قاعدة عظيمة يتميزون بها عن غيرهم؛ لأن التكفير ليس حقاً لأحد، يحكم به على من يشاء على وفق هواه؛ بل التكفير حكم شرعي، فيجب الرجوع في ذلك إلى ضوابط الشرع؛ فمن كفره الله تعالى ورسوله ﷺ وقامت عليه الحجة؛ فهو الكافر.

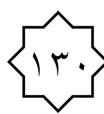
قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فقد يكون الفعل أو المقالة كفراً، ويطلق القول بتكفير من قال ذلك؛ فهو كافر. لكن الشخص المعين الذي قال ذلك القول أو فعل ذلك الفعل لا يحكم بكفره حتى تقوم عليه الحجة التي يكفر تاركها. وهذا الأمر مطرد في نصوص الوعيد عند أهل السنة والجماعة؛ فلا يشهد على معين من أهل القبلة بأنه من أهل النار؛ لجواز أن لا يلحقه، لفوات شرط أو لثبوت مانع". (٤٨٦).

فإذا توفرت الشروط وانتفت الموانع حكم بردته فيستتاب فإن تاب و إلا قتل.

---

(١) أخرجه الإمام مسلم في صحيحه، برقم: (٢٢).

(٢) ينظر: ضوابط التكفير عند أهل السنة ٣٠١؛ الجواب المفيد في حكم جاهل التوحيد لأبي عبد الله عبد الرحمن بن عبد الحميد ١٧-٢٤ فقد جمع فيه أهم أدلة من لا يعذرون بالجهل في أصول الدين.



٣- ما تقوم به الحجة:

إنَّ السلف اتفقوا على عدم تكفير المعين إلا بعد قيام الحجة، وأنَّ التكفير والتعذيب لا يكون إلا بعد قيام الحجة، استدلوا على ذلك بأدلة كثيرة، منها قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾﴾. [سورة الإسراء:١٥]، وقوله عز وجل: ﴿رُّسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٥﴾﴾. [سورة النساء:١٦٥] وقوله تعالى: ﴿قَالُوا۟ بَلَىٰ قَدْ جَآءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِى ضَلَـٰلٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾﴾. [سورة الملك:٩]

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: "الكتاب والسنة قد دلا على أن الله لا يعذب أحداً إلا بعد إبلاغ الرسالة، فمن لم تبلغه جملة لم يعذبه رأساً، ومن بلغته جملة دون بعض التفصيل لم يعذبه إلا على إنكار ما قامت عليه الحجة الرسالية).. ثم ذكر عدداً من الأدلة منها ما ذكرنا وغيرها إلى أن قال: (فمن قد آمن بالله ورسوله، ولم يعلم بعض ما جاء به الرسول، فلم يؤمن به تفصيلاً، أما أنه لم يسمعه، أو سمعه من طريق لا يجب التصديق بها، أو اعتقد معنى آخر لنوع من التأويل الذي يعذر به، فهذا قد جعل فيه من الإيمان بالله ورسوله ما يوجب أن الله عليه، وما لم يؤمن به (١) لم تقم عليه به الحجة التي يكفر مخالفها". (٢)

وقال الإمام ابن القيم رحمه الله بعدما ذكر هذه الآيات: "وهذا كثير في القرآن يخبر أنه إنما يعذب من جاءه الرسول وقامت عليه الحجة". (٣)

إذاً لا تقوم الحجة إلا بإرسال الرسل وإنزال الكتب وبلوغ ذلك إلى المعين، أما كيفية قيامها، والفرق بين قيامها وفهمها، فسيأتي بحثه في مسألة العذر بالجهل.

---

(١) أي تفصيلاً.

(٢) مجموع الفتاوي لشيخ الإسلام ابن تيميه، ١٢/٤٩٣، ٤٩٤، ١٧/٣٠٨.

(٣) طريق الهجرتين لابن القيم الجوزية، ٣٨٤؛ وانظر تفسير ابن كثير، ٣/٢٨.

٤- عدم التكفير بكل ذنب:

من الأصول المجمع عليها عند أهل السنة: أنهم لا يكفرون أحداً من أهل القبلة بذنب ما لم يستحله، ويقصدون بالذنب الذي لا يكفر صاحبه فعل الكبائر أو الصغائر أو ترك الواجبات، خلافاً للوعيدية، الذين يكفرون أهل الكبائر، وبعضهم يكفر أهل الصغائر، ومرادنا بعدم التكفير بكل ذنب أنَّ هناك بعض الذنوب التي يكفر صاحبها إذا فعلها كنواقض الإيمان التي سبق ذكرها، ومن ذلك أيضاً التكفير بترك الصلاة، وأما الذنوب التي لا يكفرون بها ففعل الكبائر وترك الواجبات ما لم يستحل الكبائر، أو ينكر الواجبات وقد مضى تفصيل مذهب أهل السنة في أهل الكبائر فليراجع.

٥- موانع التكفير:

التكفير عند أهل السنة والجماعة له موانع يمنع من تنزيل الحكم على الشخص بعينه؛ إلا بعد توفر الشروط، وانتفاء الموانع التي تمنع تكفير المعين، ومن هذه الموانع وأهمها:

أ- الجهل:

إنَّ من شروط الإيمان عند أهل السنة والجماعة وجود العلم والمعرفة عند الشخص المؤمن؛ لذا فمن أنكر أمراً من أمور الشرع جاهلاً به، ولم يبلغه ما يوجب العلم بما جهله؛ فإنه لا يكفر؛ حتى لو وقع في مظهر من مظاهر الشرك أو الكفر؛ لأنه لم يكن يعلم بهذا المكفر قبل إسلامه. أو يعيش في بلد فاش فيه الجهل، أو بعيد عن ديار العلم وأهله، أو نشأ في بلد انقلبت فيه موازين الشرع وكثر فيه الانحراف، وزين فيه الباطل والكفر، ولبس عليهم. أو أنه وقع في المكفر وهو غير قاصد له، أو أن هذا المكفر من المسائل الخفية التي لا يطلع عليها إلا العلماء.

فمثل هذا الشخص لا يستحق العقوبة حتى تقام عليه الحجة؛ لأن الجهل ببعض الأمور العقدية قد وقع في عهد النبي ﷺ مع بعض الصحابة رضي الله عنهم ومع ذلك لم يكفرهم ﷺ.

وأهل السنة والجماعة؛ يراعون اختلاف أحوال الناس، وأماكنهم وزمانهم؛ من حيث انتشار العلم، أو عدم انتشاره، لأنهم لا يشتركون جميعاً في معرفة الأمور الضرورية على

درجة واحدة؛ بل قد يعرف البعض ما لا يعرفه الآخرون؛ أو قد يكون بعض المسائل من المسلمات عند البعض مع أن غيرهم يجهلها.

ومع هذا فلا يعني أن الجهل عندهم عذر مقبول لكل من ادعاه؛ فالجهل عندهم درجات مختلفة، فجهل ما هو معلوم من الدين بالضرورة، غير جهل ما دونه.

والجاهل العاجز عن السؤال والعلم؛ غير الجاهل المتمكن المفرط تارك للواجب عليه لا عذر له عند الله تعالى.

وكون الرجل يعذر بالجهل لا يعني ذلك إبقاء منزلته كما هي؛ بل تنحط منزلته، وينقص إيمانه بقدر بعده عن الحق.

ب- الخطأ:

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة؛ على أنَّ الخطأ من موانع التكفير في المسائل العلمية والعملية، إذا كان اجتهاداً لطلب الحق ومتابعة النبي ﷺ، وغير مقصود لمخالفة الشرع، وقاعدهم في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٥﴾﴾. [سورة الأحزاب:٥]

وقول النبي ﷺ: ((إن الله تجاوز عن أمتي الخطأ والنسيان، وما استكرهوا عليه)). (١)

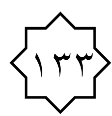
لأنَّ الله تعالى أمر الناس بطلب الحق على قدر وسعهم وإمكانهم؛ فإنْ لم يصيبوا الحق في اجتهادهم، فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها.

ج- الإكراه:

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على أن الإكراه على الكفر بضوابطه الشرعية يعتبر من موانع التكفير في حق المعين.

ومن ضوابط الإكراه عندهم أن يقع بسبب التهديد بالضرب والقتل والتعذيب، أو قطع

(١) رواه البخاري، كتاب الرقاق، باب: من نوقش الحساب عذاب ١١/٤٠١؛ ومسلم كتاب صفات المنافقين، باب: طلب الكافر الفداء بملء الأرض ذهباً ٢٨٠٥.



عضو من أعضائه، بالفعل لا بمجرد التهديد اللفظي، وأن يغلب على ظنه أنه إذا امتنع أوقع به ذلك لا محالة؛ فحينئذ يجوز له القيام بما دفع إليه بالتهديد، باعتباره في حالة ضرورية شرعية؛ فيباح عندئذ إظهار ما يخالف الدين، ولا يأثم إنْ نطق بالكفر أو فعل؛ لأنَّ في هذه الحالة ينعدم في الإنسان الرضا، ويفسد الاختيار، وتنتفي الإرادة والقصد، أمَّا ما دون ذلك فيدفع أعظم المفسدتين بارتكاب أدناهما؛ ففي هذه الحالة لا يكفر المسلم ما دامت الموافقة باللسان دون القلب، وقلبه مطمئن بالإيمان، وموقن بحقيقته، وذلك لظاهر قوله تعالى: ﴿ مَن كَفَرَ بِٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ إِيمَٰنِهِۦٓ إِلَّا مَنۡ أُكۡرِهَ وَقَلۡبُهُۥ مُطۡمَئِنُّۢ بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَٰكِن مَّن شَرَحَ بِٱلۡكُفۡرِ صَدۡرٗا فَعَلَيۡهِمۡ غَضَبٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١٠٦﴾ ﴾. [سورة النحل:١٠٦]

كما أجمعوا على أنَّ من أكره على الكفر، فاختار القتل؛ أعظم أجراً عند الله تعالى ممن اختار الرخصة؛ وذلك لأنَّ الصبر والأخذ بالعزيمة له منزلة رفيعة عند الله تعالى، وأولى من الأخذ بالرخص، ولو كانت مباحة، قال النبي ﷺ: ((**سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ حَمْزَةُ بن عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، ورجُلٌ قام إلى إمام جائرٍ فأمرهُ ونهاهُ فقتلهُ**)). (١)

أما من نطق بالكفر، وقال: قصدت المزاح؛ فهو كافر ظاهراً وباطناً، إذ حكم الكفر يلزم الجاد، والهازل، والمازح على السواء، وفي الآخرة أمرهم إلى الله تعالى.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: "فمن قال بلسانه كلمة الكفر من غير حاجة عامداً لها عالماً بأنها كلمة كفر؛ فإنه يكفر بذلك ظاهراً وباطناً، ولا يجوز أن يقال: إنه في الباطن يجوز أن يكون مؤمناً، ومن قال ذلك فقد مرق من الإسلام". (٢)

د- التأويل السائغ:

وهو التلبس والوقوع في الكفر متأولاً من غير قصد لذلك.

اتفق أئمة أهل السنة والجماعة على أن التأويل السائغ - الذي له وجه في العلم واللغة

---

(١) صحيح كنوز السنة، ٨٩/١.

(٢) تنظر هذه النقولات في الجواب المفيد ١٩-٢٤.

العربية – يعتبر من موانع التكفير؛ إذا كان سببه القصور في فهم الأدلة الشرعية، أو الاستناد إلى الشبه التي تصرف عن اتباع الحق دون تعمد للمخالفة، أو المعارضة، أو التكذيب، أو الرد، أو العناد؛ بل اعتقاد العكس بأن الحق معه والتزمه بذلك.

وهذا النوع من المتأول إذا أخطأ، وكان من أهل الإيمان؛ فهو معذور حتى تقام عليه الحجة، وتزول عنه الشبهة.

وهذا النوع من التأويل مذموم؛ إذا لم يعطل بعض أحكام الشريعة المعلومة من الدين بالضرورة، ولكن يؤدي إلى المخالفة دون القصد؛ فهو من قبيل الخطأ الذي غالباً ما يكون سببه الجهل.

وإن كان مما يعطل بعض أحكام الشريعة؛ فهو أشد ذماً؛ لأنه من أصول الضلال والانحراف، وذريعة للغلو في الدين.

واتفق أهل السنة والجماعة أيضاً على أنَّ هنالك تأويلات لا يعذر بها؛ كتأويلات الباطنية، والفلاسفة، وغيرهم من الغلاة؛ لأنَّ حقيقة أمرهم هي تكذيب للدين جملة وتفصيلاً، أو التكذيب لأصل لا يقوم الدين إلا به، أو عدم عبادة الله وحده؛ كإنكار الفلاسفة لحشر الأجساد، وقولهم إن الله تعالى لا يعلم الجزئيات، أو القول بتحريف القرآن، أو اعتقاد النفع والضر في الأموات كما يفعله القبوريين. ونحو ذلك من الاعتقادات الغالية التي لا تعتمد على أصول شرعية.

فالتأويل عند أهل السنة والجماعة نوعان:

نوع يعذر به الإنسان، ونوع لا يعذر به.

الفصل الخامس: المذاهب والفرق المعاصرة.

وفيه أربعة مباحث

المبحث الأول: العلمانية.

المبحث الثاني: القاديانية.

المبحث الثالث: الماسونية.

المبحث الرابع: الصهيونية.

المبحث الأول
العلمانية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم العلمانية.

المطلب الثاني: أسباب نشأة العلمانية.

المطلب الثالث: أسباب انتشار العلمانية.

المطلب الرابع: أهداف العلمانية.

المطلب الخامس: موقف الإسلام من العلمانية.

المطلب الأول: مفهوم العلمانية:

"العلمانية" أصلها ترجة للكلمة الإنجليزية"Secularisem" ، وهي من العلم فتكون بكسر العين، أو من العالم فتكون بفتح العين، وهي ترجمة غير أمينة ولا دقيقة ولا صحيحة، لأن الترجمة الحقيقية للكلمة الإنجليزية هي "لا دينية أو لا غيبية أو الدنيوية أو لا مقدس"، لكن المسوقون لمبدأ العلمانية في بلاد الإسلام علموا أهم لو ترجموها الترجمة الحقيقية لما قبلها الناس ولردوها ونفروا منها فدلسوها تحت كلمة العلمانية لإيهام الناس أنها من العلم، ونحن في عصر العلم، أو أنها المبدأ العالمي السائد والمتفق عليه بين الأمم والشعوب غير المنحاز لأمة أو ثقافة.

والمدلول الصحيح لكلمة "العلمانية" هو: أنها إقامة الحياة على غير الدين سواء بالنسبة للفرد أو للدولة، وهي حركة اجتماعية تهدف إلى صرف الناس وتوجيههم من الاهتمام بالآخرة إلى الاهتمام بالدنيا وحدها. (١)

المطلب الثاني: أسباب نشأة العلمانية:

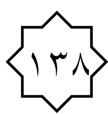
يرجع نشوء العلمانية إلى عدة أسباب هي كالآتي :

١- **تحريف الدين النصراني**: لقد قام النصارى بتحريف النصرانية بعد أن رفع الله عز وجل عيسى عليه السلام ونجاه من الموت والصلب حيث حرفوا دينه وأدخلوا فيه الشرك بتأليه عيسى وادعاء بنوته لله تعالى وعبادة إله ثالث معهما ليصبح الإله ثلاثة في واحد الأب والابن وروح القدس، وقد امتد هذا التحريف ليشمل مخالفات عديدة للفطرة البشرية العادية، مثل عدم رد العدوان والدفاع عن النفس تحت شعار ديني هو: (من ضربك على خدك الأيمن فأدر له خدك الأيسر) وعدم إمكانية الجمع بين التدين والتمتع بالمباحات الدنيوية لذا نُسب للمسيح قوله: (من أراد الملكوت فليترك ماله وأهله وليتبعني) لذا تم تحريم زواج رجال الدين بعد أن كان ذلك مباحاً. (٢)

---

(١) ينظر: نادية شرف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، صـ٢٢٧.

(٢) ينظر: النظام السياسي في الإسلام، سعود بن سلمان آل سعود، صـ١٦٥-١٦٦.



٢- **طغيان الكنيسة ورجالها**: لقد عاشت أوروبا في القرون الوسطى فترة قاسية، تحت طغيان رجال الكنيسة وهيمنتهم، وفساد أحوالهم، واستغلال السلطة الدينية لتحقيق أهوائهم، وإرضاء شهواتهم، تحت قناع القداسة التي يضفونها على أنفسهم، ويهيمنون بها على الأمة، ثم اضطهادهم الشنيع لكل من يخالف أوامر أو تعليمات الكنيسة المبتدعة في الدين وقد شمل هيمنة الكنيسة النواحي الدينية، والاقتصادية، والسياسية، والعلمية. (١)

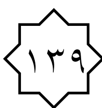
٣-**الصراع بين الكنيسة والعلم**: في الوقت الذي كانت الكنيسة فيه تطغى على جوانب الحياة كافة وقعت الحروب الصليبية بين المسلمين والأوروبيين، واستمرت طوال القرنين الحادي عشر، والثاني عشر الميلادي، واحتك الصليبيون خلالها بالمسلمين ووقفوا عن كثب على صفات الإسلام وروعته في جميع مجالات العلوم والفنون، في الأندلس والشمال الإفريقي وصقلية وغيرها، حيث كانت المدارس والجامعات المتعددة في كل مكان في بلاد المسلمين، يؤمها طلاب العلم ومنهم الأوروبيون الذين وفدوا يتعلمون من الأساتذة المسلمين، فلما عاد أولئك الأوروبيين الذين تأثروا بنور الإسلام وعرفوا أن الكنيسة ورجالها عملة مزيفة، أخذ هؤلاء يقاومون الكنيسة ودينها المزيف. وبدء الإنسان الأوروبي بتحقيق العديد من الاكتشافات والاختراعات في مجال العلوم الطبيعية والتطبيقية، وقد زاد ذلك من حدة الخلاف بين رجال الكنيسة الكارهين للعلم ومجالاته، والعلماء والباحثين المهتمين به (٢)

حينذاك تصور بعض المفكرين الأوروبيين أنه يمكن القضاء على هذا النزاع بتوزيع السلطات وتقسيمها إلى طرفين: طرف يكون للدولة بحيث تشرف على جميع المجالات الحياتية والعلمية من إدارة وتعليم واقتصاد وعلوم، وطرف يكون للكنيسة تشرف فيه على الجوانب الأسرية والدينية كمراسيم الزواج، والوفاة وغيرها من الأمور.

---

(١) ينظر: العلمانية، لبندر بن محمد الرباح، صـ٧ وما بعدها؛ نادية شريف العمري، أضواء على الثقافة الإسلامية، صـ٢٢٧-٢٢٨.

(٢) المرجع السابق.



المطلب الثالث: أسباب انتشار العلمانية:

من أهم أسباب انتشار دعوة العلمانية بين أبناء المسلمين واعتناقهم لها وفصلهم بين الإسلام والحياة ما يلي:

١- الفراغ الروحي والفكري الذي يعاني منه المثقفون المعتنقون لمبادئ العلمانية، والمتأثرون بهم من أبناء المسلمين.

٢- الهزيمة النفسية أمام النموذج الغربي للحياة، حيث أساء المثقفون وأتباعهم الظن بالإسلام وأحسنوا الظن بما عليه الغربيون وانبهروا بالحياة والحضارة الغربية، وأعجبوا بالتقدم المادي الغربي.

٣- البعثات الدراسية إلى بلاد الغرب، التي بدأت منذ القرن التاسع عشر، وما زالت مستمرة، حيث يختار لها أناس معينين، وهم مهزومون أمام النموذج الغربي وغريبون عن الإسلام، فيعتنقون مبادئ العلمانية ويعودون لنشرها بين المسلمين.

٤- استخدام وسائل الإعلام المعاصرة في الترويج للدعوة إلى العلمانية، والتي يتعامل معها معظم الناس، مثل الكتاب والصحيفة والمجلة، والفضائيات والانترنت.

٥- محاربة دعاة الإسلام الواقفين أمام دعاوى العلمانيين، والداعين إلى الإسلام، باعتباره نظاماً شاملاً كاملاً، لا يمكن فصله عن الحياة.

المطلب الرابع: أهداف العلمانية:

تسعى العلمانية إلى تحقيق العديد من الأهداف التي نلخصها فيما يلي:

١- مواجهة الدين الإسلامي، إما برفضه بالكامل واعتباره من مخلفات عصور الظلام والانحطاط والتخلف، أو بإعادة قراءته قراءة عصرية لتوظيفه توظيفاً علمانياً.

٢- اتهام التاريخ الإسلامي بأنَّه تاريخ دموي استعماري عنصري غير حضاري وتفسيره تفسيراً مادياً، وقراءته قراءة انتقائية غير نزيهة ولا موضوعية.

٣- السعي لزعزعة مصادر المعرفة والعلم الراسخة في فكر ووجدان المسلم، من خلال استبعاد الوحي بوصفه مصدراً للعلم، وجعله تابعاً لغيره من المصادر كالعقل والحس.

٤- السعي لزعزعة القيم الأخلاقية الراسخة في المجتمع الإسلامي، والمسيرة للعلاقات

الاجتماعية القائمة على معاني الأخوة والإيثار والطهر والعفاف وحفظ العهود واستبدالها بقيم الصراع والاستغلال والنفع والتحلل والإباحية.

٥- استبعاد مقولة الغزو الفكري من ميادين الفكر والثقافة واستبدالها بمقولة حوار الثقافات وهذا نابع من سياسة التخدير والخداع والتضليل التي يتبعها التيار العلماني.

٦- وصم الإسلام بالأصولية والتطرف وممارسة الإرهاب الفكري، لتخويف الناس من الإلتزام بالإسلام والاستماع لعلمائه.

٧- الترويج للمظاهر الاجتماعية الغربية وبخاصة في الفن والرياضة والأزياء والعطور والحفلات الرسمية وقضية المرأة.

٨- الترويج الدائم للنظريات العلمانية الغربية في الاجتماع والأدب، وتقديم أصحابها في وسائل الإعلام وفي الكليات والجامعات على أنهم رواد العلم.

المطلب الخامس: موقف الإسلام من العلمانية:

يمكن تلخيص موقف الإسلام من "العلمانية" ضمن المفاهيم التالية

١- أن التدين جزء من الطبيعة البشرية ولا يستطيع الإنسان أن يعيش من غير دين.

٢- حرر الإسلام الفكر من الظنون والفروض والأساطير والخرافات والأوهام والأهواء ودعا إلى التمسك بالمنابع الأسلامية الأصيلة القائمة على الوحي الكتاب والسنة.

٣- أن الحرية في الإسلام تعني تحرير العقل من قيود الوثنية مهما اختلفت أسماؤها، ومن الجهل مهما تباينت تواريخه ومن الخرافة والتقليد.

٤- أن الأخلاق في الإسلام ثابتة لا تختلف باختلاف المجتمعات و الأزمان ولا تتبدل بتبدل الأجيال.

٥- لقد ربط الإسلام في حياة الفرد بين عقيدته التي يؤمن بها ويدين لها وبين العمل والنشاط الذي يصدر عنه وقرن بين العلم والعمل، فلا يطلب العلم ليبقى في حيز النظريات وإنما يطلبه ليطبق ويستفاد منه في تحسين وسائل الحياة الإنسانية.

المطلب السادس: سبل مواجهة العلمانية:

إنَّ العلمانية اصطلاح جاهلي، لا صلة له بالعلم، وإنما سماها أعداء الإسلام بذلك إمعاناً منهم في التضليل والخداع، وإلا فإن هدف العلمانية الرئيس هو عزل الشريعة عن جميع جميع نواحي الحياة، وتعطيل حدود الله وشرعه.

وعليه فإنَّ التصدي للعلمانية لا بد أن يكون من خلال استراتيجية شاملة ومتكاملة، تتضمن:

١- توعية المسلمين بخطورة هذه الفكرة الهدامة وتعارضها مع تعاليم الدين الإسلامي الحنيف، وذلك عن طريق المناهج الدراسية ووسائل الإعلام بأنواعها المختلفة، لكي يقف أبناء المسلمين على حقيقة هذه الدعوة الإلحادية، بعيدا عن المغالطات التي يستخدمها دعاة العلمانية للتلبيس على أهدافها الخبيثة وإخفاء حقيقتها.

٢- تبصير المسلمين بثمار العلمانية وآثارها المدمرة على المجتمعات الغربية التي تعاني من الإلحاد والتفكك الإجتماعي وانتشار الأوبئة والأمراض وتفشي ظاهرة الانتحار، وتصاعد وتيرة الجرائم والتفسخ الأخلاقي، بسبب الابتعاد عن الدين، وطغيان الجانب المادي على الجانب الروحي.

٣- العمل على نشر الكتاب الإسلامي الذي يبصر المسلم بدينه ويربطه به ويطلعه على حكم الشريعة الإسلامية، وسموها وصلاحيتها لكل زمان ومكان، وشمولها لكل مناحي الحياة.

٤- العمل على غرس الاعتزاز بالدين الإسلامي بين جموع المسلمين، ومحاربة ظاهرة الانبهار بأي فكر يتعارض مع تعاليم الدين الإسلامي، بغض النظر عن مصدر هذا الفكر أو الجهة التي تروج له.

المبحث الثاني
القاديانية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف القاديانية.

المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات.

المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات.

المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية.

المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ .

المطلب السادس: حكم القاديانية.

القاديانية: [1]

المطلب الأول: التعريف:

القاديانية حركة نشأت سنة ١٩٠٠م بتخطيط من الاستعمار الإنجليزي في القارة الهندية، بهدف إبعاد المسلمين عن دينهم وعن فريضة الجهاد بشكل خاص، حتى لا يواجهوا المستعمر باسم الإسلام، وكان لسان حال هذه الحركة هو مجلة الأديان التي تصدر باللغة الإنجليزية.

المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات:

كان مرزا غلام أحمد القادياني ١٨٣٩ـ ١٩٠٨م أداة التنفيذ الأساسية لإيجاد القاديانية. وقد ولد في قرية قاديان من بنجاب في الهند عام ١٨٣٩م، وكان ينتمي إلى أسرة اشتهرت بخيانة الدين والوطن، وهكذا نشأ غلام أحمد وفياً للاستعمار مطيعاً له في كل حال، فاختير لدور المتنبئ حتى يلتف حوله المسلمون وينشغلوا به عن جهادهم للاستعمار الإنجليزي. وكان للحكومة البريطانية إحسانات كثيرة عليهم، فأظهروا الولاء لها، وكان غلام أحمد معروفاً عند أتباعه باختلال المزاج وكثرة الأمراض وإدمان المخدرات.

وممن تصدى له ولدعوته الخبيثة، الشيخ أبو الوفاء ثناء الله الأمرتستري أمير جمعية أهل الحديث في عموم الهند، حيث ناظره وأفحم حجته، وكشف خبث طويته، وكفره، وانحراف نحلته. ولما لم يرجع غلام أحمد إلى رشده باهله الشيخ أبو الوفا على أن يموت الكاذب منهما في حياة الصادق، ولم تمر سوى أيام قلائل حتى هلك المرزا غلام أحمد القادياني في عام ١٩٠٨م مخلفاً أكثر من خمسين كتاباً ونشرة ومقالاً، ومن أهم كتبه: إزالة الأوهام، إعجاز أحمدي، براهين أحمدية، أنوار الإسلام، إعجاز المسيح، التبليغ، تجليات إلهية.

نور الدين: الخليفة الأول للقاديانية، وضع الإنجليز تاج الخلافة على رأسه فتبعه المريدون. من مؤلفاته: فصل الخطاب.

محمد علي وخوجه كمال الدين: أمير القاديانية اللاهورية، وهما مُنَظِّرا القاديانية وقد قدّم الأول ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية ومن مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النبوة في

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة صـ٣٤٢ ومابعدها.

الإسلام، والدين الإسلامي. أما الخوجة كمال الدين فله كتاب المثل الأعلى في الأنبياء وغيره من الكتب، وجماعة لاهور هذه تنظر إلى غلام أحمد ميرزا على أنه مجدد فحسب، ولكنهما يعتبران حركة واحدة تستوعب الأولى ما ضاقت به الثانية وبالعكس.

محمد علي: أمير القاديانية اللاهورية، وهو مُنَظِّر القاديانية وجاسوس الاستعمار والقائم على المجلة الناطقة باسم القاديانية، قدم ترجمة محرفة للقرآن الكريم إلى الإنجليزية. من مؤلفاته: حقيقة الاختلاف، النبوة في الإسلام على ما تقدم.

محمد صادق: مفتي القاديانية، من مؤلفاته: خاتم النبيين.

بشير أحمد بن الغلام: من مؤلفاته سيرة المهدي، كلمة الفصل.

محمود أحمد بن الغلام وخليفته الثاني: من مؤلفاته أنوار الخلافة، تحفة الملوك، حقيقة النبوة.

كان لتعيين ظفر الله خان القادياني كأول وزير للخارجية الباكستانية أثر كبير في دعم هذه الفرقة الضالة حيث خصص لها بقعة كبيرة في إقليم بنجاب لتكون مركزاً عالمياً لهذه الطائفة وسموها ربوة استعارة من نص الآية القرآنية ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠﴾. [سورة المؤمنون: ٥٠]

المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات:

بدأ غلام أحمد نشاطه كداعية إسلامي حتى يلتف حوله الأنصار ثم ادعى أنه مجدد وملهم من الله ثم تدرج خطوة أخرى فادعى أنه المهدي المنتظر والمسيح الموعود ثم ادعى النبوة وزعم أن نبوته أعلى وأرقى من نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

يعتقد القاديانيون أن الله يصوم ويصلي وينام ويصحو ويكتب ويخطئ ويجامع — تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً —.

يعتقد القادياني بأن إلهه إنجليزي لأنه يخاطبه بالإنجليزية !!!.

تعتقد القاديانية بأن النبوة لم تختم بمحمد ﷺ بل هي جارية، والله يرسل الرسول حسب الضرورة، وأن غلام أحمد هو أفضل الأنبياء جميعاً.

يعتقدون أن جبريل عليه السلام كان ينزل على غلام أحمد وأنه كان يوحى إليه،

وأن إلهاماته كالقرآن.

يقولون لا قرآن إلا الذي قدمه المسيح الموعود (الغلام)، ولا حديث إلا ما يكون في ضوء تعليماته، ولا نبي إلا تحت سيادة غلام أحمد.

يعتقدون أن كتابهم منزل واسمه الكتاب المبين وهو غير القرآن الكريم.

يعتقدون أنهم أصحاب دين جديد مستقل وشريعة مستقلة وأن رفاق الغلام كالصحابة.

يعتقدون أن قاديان كالمدينة المنورة ومكة المكرمة بل وأفضل منهما وأرضها حرم وهي قبلتهم وإليها حجهم.

نادوا بإلغاء عقيدة الجهاد كما طالبوا بالطاعة العمياء للحكومة الإنجليزية لأنها حسب زعمهم ولي الأمر بنص القرآن !!!.

كل مسلم عندهم كافر حتى يدخل القاديانية: كما أن من تزوج أو زوج من غير القاديانيين فهو كافر.

يبيحون الخمر والأفيون والمخدرات والمسكرات.

المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية:

كانت حركة سير سيد أحمد خان التغريبية قد مهدت لظهور القاديانية بما بثته من الأفكار المنحرفة.

استغل الإنجليز هذه الظروف فصنعوا الحركة القاديانية واختاروا لها رجلاً من أسرة عريقة في العمالة.

في عام ١٩٥٣م قامت ثورة شعبية في باكستان طالبت بإقالة ظفر الله خان وزير الخارجية حينئذ واعتبار الطائفة القاديانية أقلية غير مسلمة، وقد استشهد فيها حوالي العشرة آلاف من المسلمين ونجحوا في إقالة الوزير القادياني.

وفي شهر ربيع الأول ١٣٩٤هالموافق إبريل ١٩٧٤م انعقد مؤتمر كبير برابطة العالم الإسلامي في مكة المكرمة وحضره ممثلون للمنظمات الإسلامية العالمية من جميع أنحاء العالم، وأعلن المؤتمر كفر هذه الطائفة وخروجها عن الإسلام، وطالب المسلمون بمقاومة خطرها

وعدم التعامل مع القاديانيين وعدم دفن موتاهم في قبور المسلمين.

قام مجلس الأمة في باكستان (البرلمان المركزي) بمناقشة زعيم الطائفة مرزا ناصر أحمد والرد عليه من قبل الشيخ مفتي محمود رحمه الله. وقد استمرت هذه المناقشة قرابة الثلاثين ساعة عجز فيها ناصر أحمد عن الأجوبة وانكشف النقاب عن كفر هذه الطائفة، فأصدر المجلس قراراً باعتبار القاديانية أقلية غير مسلمة.

المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ:

معظم القاديانيين يعيشون الآن في الهند وباكستان وقليل منهم في إسرائيل والعالم العربي ويسعون بمساعدة الاستعمار للحصول على المراكز الحساسة في كل بلد يستقرون فيه.

وللقاديانيين نشاط كبير في أفريقيا، وفي بعض الدول الغربية، ولهم في أفريقيا وحدها ما يزيد عن خمسة آلاف مرشد وداعية متفرغين لدعوة الناس إلى القاديانية، ونشاطهم الواسع يؤكد دعم الجهات الاستعمارية لهم.

هذا وتحتضن الحكومة الإنجليزية هذا المذهب وتسهل لأتباعه التوظف بالدوائر الحكومية العالمية في إدارة الشركات والمفوضيات وتتخذ منهم ضباطاً من رتب عالية في مخابراتها السرية.

نشط القاديانيون في الدعوة إلى مذهبهم بكافة الوسائل، وخصوصاً الثقافية منها حيث أنهم مثقفون ولديهم كثير من العلماء والمهندسين والأطباء. ويوجد في بريطانيا قناة فضائية باسم التلفزيون الإسلامي يديرها القاديانية.

المطلب السادس: حكم القاديانية:

ويتضح مما سبق أن القاديانية دعوة ضالة، ليست من الإسلام في شيء، وعقيدتها تخالف الإسلام في كل شيء، وينبغي تحذير المسلمين من نشاطهم، بعد أن أفتى علماء الإسلام بكفرهم.

المبحث الثالث

الماسونية

وفيه أربعة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الماسونية.

المطلب الثاني: أهداف الماسونية.

المطلب الثالث: وسائل الماسونية.

المطلب الرابع: سبل مواجهة الماسونية.

المطلب الأول: مفهوم الماسونية:

الماسونية اشتقاق لغوي من الكلمة الفرنسية (ماسون) ومعناها "البناء" والماسونية تقابلها "ماسونيريز" أي البناؤون الأحرار.

والماسونية اصطلاحاً هي: منظمة يهودية سرية غامضة محكمة التنظيم، تهدف إلى ضمان سيطرة اليهود على العالم، وتدعو إلى الإلحاد والإباحية، وأغلب أعضائها هم من الشخصيات البارزة في العالم، يوثقهم عهد بحفظ الأسرار، ويقومون بما يسمى بالمحافل للتخطيط والتكليف بالمهام.

المطلب الثاني: أهداف الماسونية:

يمكن تلخيص أهداف الماسونية فيما يلي:

١- تكوين جمهوريات ديمقراطية عالمية لا دينية، تحكم العالم ليسهل تقويضها عندما يحين موعد قيام دولة إسرائيل الكبرى.

٢- محاربة الأديان القائمة غير اليهودية، وتشجيع وحماية الدول الإلحادية، ويقصدون بالأديان هنا الإسلام والنصرانية دون بقية الأديان.

٣- بث روح الإلحاد والإباحية بين الشعوب.

جاء في دائرة المعارف اليهودية طبعة ١٩٠٢م ما يلي: "إن تعاليم الماسونية محاطة بالسرية الدائمة، وتنص في صميمها على تقديس الجنس، والحرية التامة في نشر الإباحية، وآمال الماسونيين في الناحية الخلقية من حياة الناس قائمة على تنظيم أمة من الناس أحرار، لا يشعرون بالخجل عندما يتعرى بعضهم أمام بعض ولا يخجلون من إظهار أعضائهم التناسلية حين يجتمعون في منتديات العري، أو في شواطئ المصايف".

٤- القضاء على الأخلاق والمثل العليا؛ ليسهل تدمير المجتمعات والأنظمة والدول في العالم.

٥- جعل الماسونية سيدة الأحزاب، يقول الأستاذ الماسوني خير رضا: " من الواجب أن تكون الماسونية زعيمة الأحزاب السياسية تقودها ولا تنقاد لها، إذ الماسونية مشروع سياسي".

٦- إسقاط الحكومات الشرعية، تمهيدا وتسهيلا لإقامة دولة إسرائيل الكبرى .

٧- الوصول إلى إقامة دولة إسرائيل الكبرى، وتتويج ملك لليهود في القدس يكون من نسل داود، ثم التحكم في العالم وتسخيره لما يسمونه: شعب الله المختار"اليهود" وهذا هو الهدف النهائي للماسونية.

المطلب الثالث: وسائل الماسونية:

تتبع الماسونية وسائل عديدة لتحقيق أهدافها، وهذه الوسائل هي:

١- تجنيد الشباب في كل العالم لخدمة مصالح اليهود، وذلك بتوفير أسباب اللهو لهم، وتمكينهم من الانغماس في الشهوات بأنواعها المختلفة.

٢- الدخول في الأحزاب السياسية لتسيير الاتجاهات السياسية في العالم حسب المصالح اليهودية.

٣- تأسيس وتشجيع المنظمات التي تطالب بالحرية؛ لأنها أسرع وسيلة لنشر الفساد الأخلاقي، وتقويض البناء الأسري للأمم والشعوب.

٤- تشجيع النظريات والاتجاهات التي تساعد على تقويض الاقتصاد العالمي.

٥- اجتذاب أكبر عدد ممكن من الأتباع للانتماء إلى المحافل والوقوع في شباكها، وعلى كل من انضم إليها أن يسخر طاقاته لخدمتها وإلاَّ فسيكون مصيره الاغتيال، وللماسونية أساليب إجرامية للقضاء على من يحاول كشف أسرارها أو التمرد على تعاليمها.

المطلب الرابع: سبل مواجهة الماسونية:

هناك حل وقائي لمواجهة الماسونية، يتمثل في توضيح حقيقة وأهداف الماسونية لأبناء المسلمين، وخاصة من ذهب منهم للتعلم في الغرب، وإغلاق المحافل الموجودة في بلاد المسلمين، وكذلك نوادي الروتاري.

أما الحل الهجومي لمواجهة الماسونية فيكون بالكتابة عنها، وبيان حقائقها، وكشف أسرارها وفضحها على رؤوس الأشهاد، وقد أصدر المؤتمر الإسلامي العالمي الذي انعقد في مكة المكرمة سنة ١٣٩٤هـ في مكة قرارا حدد فيه موقف الإسلام من هذه الحركة الشريرة، جاء فيه: "الماسونية جمعية سرية هدامة لها صلة وثيقة بالصهيونية العالمية التي تحركها وتدفعها

لخدمة أغراضها، وتنشر تحت شعارات خداعة كالحرية، والإخاء، والمساواة، وما إلى ذلك مما أوقع في شباكها الكثير من المسلمين وقادة البلاد وأهل الكفر، وعلى الهيئات الإســـلامية أن يكون موقفها من هذه الجمعية السرية على النحو التالي:

١. على كل مسلم أن يخرج منها فورا .

٢. على الدول الإسلامية أن تمنع نشاطها داخل بلادها .

٣. عدم توظيف أي شخص ينتسب لها، ومقاطعته مقاطعة كاملة .

٤. فضحها بكتيبات ونشرات تباع بسعر التكلفة، وتعامل كل من النوادي التالية معاملة الماسونية: نادي الروتاري، نادي الليونز، حركات التسلح الخفي، إخوان الحرية.

كما أصدر مجمع الفقه الإسلامي قرارا بشأن الماسونية في دورته الأولى المنعقدة في مكة سنة ١٩٧٨م، بين فيه خطر هذه المظمة واعتبرها من أخطر المنظمات اليهودية، وأن من انتسب لها وهو على علم بحقيقتها وأهدافها فهو كافر بالإسلام ومجانب له.

المبحث الرابع

الصهيونية

وفيه خمسة مطالب:

المطلب الأول: تعريف الصهيونية.

المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات.

المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات.

المطلب الرابع: الجذور الفكرية والعقائدية.

المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ.

الصهيونية: [1]

المطلب الأول: تعريف الصهيونية:

الصهيونية حركة سياسية عنصرية متطرفة، ترمي إلى إقامة دولة لليهود في فلسطين تحكم من خلالها العالم كله. واشتقت الصهيونية من اسم (جبل صهيون) في القدس حيث ابتنى داود قصره بعد انتقاله من حبرون (الخليل) إلى بيت المقدس في القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وهذا الاسم يرمز إلى مملكة داود وإعادة تشييد هيكل سليمان من جديد بحيث تكون القدس عاصمة لها.

وقد ارتبطت الحركة الصهيونية الحديثة بشخصية اليهودي النمساوي هرتزل الذي يعد الداعية الأول للفكر الصهيوني الحديث والمعاصرة الذي تقوم على آرائه الحركة الصهيونية في العالم.

المطلب الثاني: التأسيس وأبرز الشخصيات:

للصهيونية العالمية جذور تاريخية فكرية وسياسية تجعل من الواجب الوقوف عند الأدوار التالية:

وردت لفظة صهيون لأول مرة في العهد القديم عندما تعرض للملك داود الذي أسس مملكته ١٠٠٠ــ ٩٦٠ ق.م.

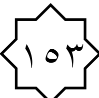
حركة سبتاي زيفي ١٦٢٦ــ ١٦٧٦م الذي ادعى أنه مسيح اليهود المخلص فأخذ اليهود في ظله يستعدون للعودة إلى فلسطين ولكن مخلصهم مات.

الصهيونية الحديثة وهي الحركة المنسوبة إلى تيودور هرتزل الصحفي اليهودي المجري ولد في بودابست في ١٨٦٠/٥/٢م حصل على شهادة الحقوق من جامعة فينا ١٨٧٨م وهدفها الأساسي الواضح قيادة اليهود إلى حكم العالم بدءً بإقامة دولة لهم في فلسطين. وقد فاوض السلطان عبد الحميد بهذا الخصوص في محاولتين، لكنه أخفق، عند ذلك عملت اليهودية العالمية على إزاحة السلطان وإلغاء الخلافة الإسلامية.

المطلب الثالث: الأفكار والمعتقدات:

---

(١) ينظر: الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة ص٤٢٨ ومابعدها.



تستمد الصهيونية فكرها ومعتقداها من الكتب المقدسة التي حرفها اليهود، وقد صاغت الصهيونية فكرها في بروتوكولات حكماء صهيون.

تعتبر الصهيونية جميع يهود العالم أعضاء في جنسية واحدة هي الجنسية الإسرائيلية.

يعتقدون أن اليهود هم العنصر الممتاز الذي يجب أن يسود وكل الشعوب الأخرى خدم لهم.

يدعون إلى تسخير الحرية السياسية من أجل السيطرة على الجماهير ويقولون: يجب أن نعرف كيف نقدم لهم الطعم الذي يوقعهم في شباكنا.

يرون أن السياسة نقيض للأخلاق ولا بد فيها من المكر والرياء أما الفضائل والصدق فهي رذائل في عرف السياسة.

يقولون: يجب أن نستخدم الرشوة والخديعة والخيانة دون تردد ما دامت تحقق مآربنا.

يقولون: لا بد أن نفتعل الأزمات الاقتصادية لكي يخضع لنا الجميع بفضل الذهب الذي احتكرناه.

يقولون: يجب أن نسيطر على الصناعة والتجارة ونعود الناس على البذخ والترف والانحلال ونعمل على رفع الأجور وتيسير القروض ومضاعفة فوائدها عند ذلك سيخر الأمميون ساجدين بين أيدينا.

يقولون: إن الصحافة جميعها بأيدينا إلا صحفاً قليلة غير محتفل بها، وسنستعملها لبث الشائعات حتى تصبح حقائق وسنشغل بها الأمميين عما ينفعهم ونجعلهم يجرون وراء الشهوة والمتعة.

يقولون: سنفكك الأسرة وننفخ روح الذاتية في كل فرد ليتمرد ونحول دون وصول ذوي الامتياز إلى الرتب العالية.

يقولون: سنستعين بالانقلابات والثورات كلما رأينا فائدة لذلك.

يقولون: لا بد أن نشغل غيرنا بألوان خلابة من الملاهي والألعاب والمنتديات العامة والفنون والجنس والمخدرات لنلهيهم عن مخالفتنا أو التعرض لمخططاتنا.

يقولون: عندما تصبح السلطة في أيدينا لن نسمح بوجود دين غير ديننا على الأرض.

المطلب الرابع:الجذور الفكرية والعقائدية:

الصهيونية قديمة قدم التوراة نفسها وهي التي أججت الروح القومية عند اليهود منذ أيامها الأولى. وحركة هرتزل إنما هي تجديد وتنظيم للصهيونية العديمة.

تقوم الصهيونية على تعاليم التوراة المحرفة والتلمود. ولكن لا بد من الإشارة إلى أن عدداً من زعماء الصهيونية هم من الملاحدة، واليهودية عندهم ليست سوى ستار لتحقيق المطامع السياسية والاقتصادية.

تعتبر أكثرية من اليهود ما يعرف بالتلمود دستوراً دينيًّا لهم وهو مؤلف من بحوث أحبار اليهود وفقهائهم وقد رسموا فيه الحدود لكل جوانب الحياة الخاصة والعامة وقد دون فيه من الأحكام والتعليمات ما يبرر وضعهم الاجتماعي والسياسي وما يغرس في نفوسهم ونفوس أجيالهم اللاحقة احتقار المجتمع البشري وحب الانتقام منه وأكل أموال الناس بالباطل والسطو على أرواحهم وأعراضهم وأموالهم واستنزاف دماء غير اليهود لاستعمالها في بعض المناسبات الدينية حيث يستعمل الدم البشري بوضع نقط منه على فطير الفصح أو غيره.

المطلب الخامس: الانتشار ومواقع النفوذ:

الصهيونية هي الواجهة السياسية لليهودية العالمية وهي كما وصفها اليهود أنفسهم (مثل الإله الهندي فشنو الذي له مائة يد) فهي لها في جل الأجهزة الحكومية في العالم يد مسيطرة موجهة تعمل لمصلحتها.

هي التي تقود إسرائيل وتخطط لها.

الماسونية تتحرك بتعاليم الصهيونية وتوجيهاتها وتخضع لها زعماء العالم ومفكريه.

للصهيونية مئات الجمعيات في أوروبا وأمريكا في مختلف المجالات التي تبدو متناقضة في الظاهر لكنها كلها في الواقع تعمل لمصلحة اليهودية العالمية.

هناك من يبالغ في قوتها مبالغة كبيرة جداً، وهناك من يهون من شأنها، والرأيان فيهما خطأ، على أن استقراء الواقع يدل على أن اليهود الآن يحيون فترة علو استثنائية.

ثبت المراجع

م	اسم المرجع
١	الإرشاد إلى صحيح الاعتقاد – لفضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان
٢	إرواء الغليل في تخريج أحاديث منار السبيل تأليف المحدث ناصر الدين الألباني - المكتب الإسلامي- بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ ١٩٨٧م.
٣	أضواء على الثقافة الإسلامية – نادية العمري.
٤	الاعتصام – للإمام الشاطبي.
٥	إعلام الموقعين عن رب العالمين لمحمد بن أبي بكر ابن القيم الجوزية - دار الكتب العلمية - بيروت-.
٦	تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن أبي حاتم تحقيق أسعد بن محمد الطيب - مكتبة نزار مصطفى الباز - مكة المكرمة - الطبعة الأولى ١٤١٧هـ ١٩٩٧م.
٧	تهذيب الأسماء واللغات للنووي - دار الكتب العلمية - بيروت.
٨	التوضيح لشرح الجامع الصحيح، تصنيف سراج الدين أبي حفص عمر بن علي بن أحمد الأنصاري الشافعي المعروف بابن الملقن- الطبعة الأولى - دار النوادر - ١٤٢٩هـ.
٩	الثقافة الإسلامية عز الدين التميمي وجماعة ص٥١، دار الفرقان بالأردن، ط السادسة ١٤٢٤-٢٠٠٤.
١٠	جامع البيان عن تأويل آي القرآن لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري - دار الفكر - بيروت - ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١١	الجامع الصحيح – للإمام محمد بن إسماعيل البخاري.
١٢	الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله محمد بن أحمد القرطبي - دار الكتب العلمية - بيروت - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
١٣	حلية الأولياء وطبقات الأصفياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني –دراسة وتحقيق عبد القادر عطا- دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الثانية ١٤٢٣هـ.
١٤	زاد المعاد في هدي خير العباد لابن قيم الجوزية – مؤسسة الرسالة – بيروت – الطبعة الرابعة عشر- ١٤٠٧هـ.
١٥	ست درر من أصول أهل الأثر – عبد المالك الرمضاني.
١٦	سلسلة الأحاديث الصحيحة للإمام محمد ناصر الدين الألباني – المكتب الإسلامي – بيروت - الطبعة الرابعة ١٤٠٥هـ.
١٧	شرح قصيدة النونية.
١٨	الصارم المسلول على شاتم الرسول صلى الله عليه وسلم – شيخ الإسلام ابن تيمية.
١٩	صحيح سنن أبي داود باختصار السند تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي لدول الخليج - الرياض - الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢٠	صحيح سنن الترمذي باختصار السند تأليف المحدث محمد ناصر الدين الألباني - مكتب التربية العربي

	لدول الخليج – الرياض – الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ ١٩٨٨م.
٢١	صحيح مسلم للإمام مسلم بن الحجاج النيسابوري مع شرح النووي ـــ دار الكتب العلمية ـــ بيروت– الطبعة الأولى ١٤١٥ﻫ ١٩٩٥م.
٢٢	الصواعد المرسلة في الرد على الجهمية والمعطلة – للإمام ابن القيم الجوزية.
٢٣	ضوابط التكفير عند أهل السنة والجماعة – عبد الله محمد القرني.
٢٤	طريق الهجرتين – للإمام ابن القيم الجوزية.
٢٥	عالم السحر والشعوذة – لعمر سليمان الأشقر.
٢٦	عقيدة التوحيد في القرآن الكريم – محمد أحمد ملكاوي.
٢٧	العقيدة الصفدية – شيخ الإسلام ابن تيمية
٢٨	عقيدة المؤمن لأبي بكر جابر الجزائري.
٢٩	العلمانية – بندر بن محمد الرباح.
٣٠	فتاوى مهمة لعموم الأمة.
٣١	فتح الباري بشرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني رقمه محمد فؤاد عبد الباقي – دار الريان للتراث – القاهرة – الطبعة الثانية ١٤٠٩ﻫ ١٩٨٨م.
٣٢	الفصل في الملل – لابن حزم الظاهري.
٣٣	القول المفيد على كتاب التوحيد – لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين.
٣٤	لسان العرب لابن منظور – دار صادر – بيروت – الطبعة الثالثة ٢٠٠٤ م.
٣٥	مباحث في عقيدة أهل السنة والجماعة – ناصر عبد الكريم العقل.
٣٦	المبدع – لابن مفلح
٣٧	مجموع الفتاوى – شيخ الإسلام ابن تيمية.
٣٨	المحلى بالآثار لأبي محمد على بن أحمد الشهير بابن حزم – تحقيق أحمد محمد شاكر – دار التراث – القاهرة–.
٣٩	مختار الصحاح لمحمد بن أبي بكر الرازي – مؤسسة علوم القرآن– ١٤٠٥هـ ١٩٨٥م.
٤٠	مدارج السالكين – لابن القيم الجوزية.
٤١	مدخل لدراسة العقيدة الإسلامية – عثمان جمعة ضميرية.
٤٢	المدخل لدراسة العقيدة الإسلامية – للدكتور إبراهيم بن محمد البريكان.
٤٣	المرتكزات الأساسية في الثقافة الإسلامية ص٣١٢.
٤٤	المسجد وبيت المسلم، للشيخ أبي بكر جابر الجزائري– دار لينة للنشر والتوزيع – الطبعة الثالثة ١٤١٣ﻫ.
٤٥	مسند الإمام أحمد للإمام أحمد بن حنبل الشيباني ومعه المصعد الأحمد والقول المسدد وذيل القول المسدد

	راجعه وضبطه وعلق عليه وصنع فهارسه صدقي محمد جميل العطار - دار الفكر - بيروت - الطبعة الثانية ١٤١٤هـ ١٩٩٤م.
٤٦	منهاج السنة النبوية – شيخ الإسلام ابن تيمية.
٤٧	الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة – إصدار الندوة العالمية للشباب الإسلامي.
٤٨	نبذة في العقيدة – فضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين رحمه الله تعالى.
٤٩	النظام السياسي في الإسلامي – سعود بن سلمان آل سعود.
٥٠	نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار – للإمام الشوكاني.

فهرس